رواية

أحببت شاعراً

شعيب العرجوني

شعيب العرجوني

أحببتُ شاعرًا

رواية

إلى روح جدتي التي كانت تروي لي القصص على نار الشموع فأشعلت بداخلي نار الكتابة .

إهداء

أهدي هذا الكتاب لكل من ساندني و آمن بي، و أخص بالذكر جدتي و والديّ و إخوتي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل أصدقائي على دعمهم و تشجيعهم المتواصل.

كمقدمة

كنت أستعد لنشر ديواني الشعري الثاني حين قال لي أحد أصدقائي : " إن عصر الشعر انتهى، هذا عصر الرواية، اكتب لنا رواية "، لم أحبذ الفكرة في البداية لأن الرواية تحتاج الكثير من الوقت و الجهد و هي بعكس الشعر الذي يمكنك أن تقوله و أنت تتناول فطور الصباح أو تركب الباص إلى العمل، لا أحب أن أجلس و أمسك ورقة و قلما و أكتب، قلت في نفسي : " حتى الرواية يمكنني كتابتها في خيالي قبل أن أخطها على الورق"، و بعد تفكير طويل قررت أن أكتب رواية، لكن من أين أبدأ ؟ و عمّ أكتب ؟، فتذكرت قول صديقي : "إن عصر الشعر انتهى"، و جعلت من هذه القولة منطلقي للكتابة، لماذا لا أكتب عما يعانيه الشعراء الشباب من أجل نشر دواوينهم ؟ نعم، يبدو الموضوع مثيرا لاهتمامي، لكن لم أستطع التخلص من الشعر فرأيت أن أكتب رواية عليها بعض توابل الشعر مثلما فعل أنطونيو سكارميتا في رواية : ساعي بريد نيرودا، لست أزعم طبعا أنني في مستوى سكارميتا و لا أعلم إن كنتُ قد توفقت في روايتي الأولى لكني أتمنى ذلك.

" إذا كان الكتاب الذي نقرأه لا يوقظنا بخبطة على جمجمتنا، فلماذا نقرأ إذن ؟ ، إننا نحتاج إلى تلك الكتب التي تنزل علينا كالصاعقة، التي تجعلنا نشعر و كأننا طردنا إلى الغابات بعيدا عن الناس، على الكتاب أن يكون كالفأس التي تحطم البحر المتجمد في داخلنا "

فرانز كافكا

مدخل

" حين ابتعدت عنك اكتشفت أن مساحة الأرض أكثر من خمسمائة مليون كيلو متر مربع، و أن السماء ليست ضيقة كما كنت أتصور، و تفاجأت جدا حين علمت أن الله قد خلق نساء أخريات، فقد كنت أعتقد أنه استقال من الخلق مذ شق عينيك و أدار نهديك، كنت أعتقد أن نحت جسد من فضة مثل جسدك عمل متعب يحتاج إجازة ألف عام في السماء السابعة !

الحب لعبة مسافات و أنا لم أعط قلبي مسافة كافية بعيدا عن نار حبك، فاحترق بالكامل في لهيبها، و أجثو الآن على ركبتي لأقبل جبينه المتفحم و أقول له مواسيا : إن النسيان مطر سماوي قادر على إطفاء أي نار و البعد طبيب بارع في مداواة كل الحرائق و الجروح !

لا تفقد الأمل، ستنبعث من هذا الحريق، كطائر الفينيق، إن الموت ولادة أخرى، و الخيانة درس في الوفاء.

لا تحزن، بل احمد الله الذي شرفك باختبار الصدق في زمن النفاق "

أنهى الرسالة ثم بعثها إليها عبر الواتساب قبل أن يلج قائمة الأسماء و يمحو رقم هاتفها، و يمحو معه حبه له و كل ذكرياتهما إلى الأبد.

الفصل الأول

-1-

الجديدة ، الحي البرتغالي

مارس 2016

كانت القاعة مملوءة عن آخرها بينما عُلقت لافتة كبيرة على المنصة كتب عليها : مهرجان أمير الحرف للشعر.

في الصف الأمامي للقاعة كان يجلس ستة شباب بينهم فتاة ترتدي تنورة سوداء قصيرة و كان أحد الشباب يرمق ساقيها بنظرة خاطفة بين الفينة و الأخرى، قامت الفتاة حين لفظ المقدم اسمها لتلقي قصيدتها، بينما تابعها البقية و معهم الحضور باهتمام.

كان من بين أولئك الشباب الخمسة شاب يرتدي قميصا أخضر مكتوب عليه حرف V عملاق بخط مائل و سروال جينز أزرق، كانت ملامحه توحي أنه يشعر بالضجر و هو ينتظر دوره، ثم تنفس الصعداء حين نادى المقدم باسمه : أيمن الخزرجي، قام وانتصب أمام الحضور بقامته المعتدلة وجسمه النحيف كأقلام الرصاص الجافة، و بابتسامة تعلو محياه الوسيم، كان يبدو مثل آل باتشينو في فلم العراب، أربكه التوتر حين تأمل وجوه الحضور و أعينهم التي تتفحص جسده النحيل، التفت إلى عازف القيثارة خلفه مشيرا إليه بالبدء ثم أنشد يقول :

أحملك في قلبي أينما ذهبتُ ..

و الحب .. مثل الإيمان .. موطنه الفؤادُ

مشاعري تظل راسخة شامخة .. مهما اضطربت ..

و للمشاعر .. كالأرض .. أوتادُ

حبك حلم ليس يفسر ..

ملحمة كبرى ليست تعادُ

حبك عقيدة وثقى ..

اُستشهد قلبي في سبيلها .. أو يكادُ

كوني أينما شئتِ ..

فلقاؤنا كالموتِ .. قدر محتوم ..

و ليس يهم أيان الميعادُ

في كيمياء الحب ..

تمتزج الأرواح بالأرواح ..

من قبل أن تتلامس الأجسادُ

ضجت القاعة بالتصفيق مثلما توقع، و نزل ليجلس بجانب رفاقه في انتظار الإعلان عن اسم الفائز في هذه المسابقة.

بعد دقيقتين صعد المقدم مرة أخرى و قال :

- في انتظار الإعلان عن النتائج النهائية، اسمحوا لي أن أقدم لكم فنانة شابة جاءتنا من مدينة آسفي، استقبلوا معي سعيدة الماجدي !

ضجت القاعة بالتصفيق من جديد مما جعل أيمن يتذمر، غير أن تذمره زال فورا حين تجلت أمامه على المنصة بجسمها المنحوت كتماثيل مايكل أنجلو، كانت سمراء ذات عيون خضر، كانت تلوّح بالميكروفون وهي تتسلّح بابتسامة آسرة ، أحس بنشوة تعتري جسمه و هو يتأملها بينما رمقته هي بنظرة خاطفة مثلما فعلت مع البقية، ثم باشرت الغناء، كان صوتها فاتنا يشبه صوت أميمة الخليل إلى حد بعيد بل كأنه نسخة طبق الأصل عنه، أغمض أيمن عينيه و هو ينصت إليها :

" لما بدا يتثنى

حبي جماله فتنا

أمر ما بلحظة أسرنا

غصن ثنا حين مال

وعدي و يا حيرتي

من لي رحيم شكوتي

في الحب من لوعتي

إلا مالك الجمال "

قال في نفسه و نشوة السُّكر تعتريه :

- واو !

ثم جاءت اللحظة التي ينتظرها و اعتلى المقدم المنصة ليقول :

- و الآن سنمر للإعلان عن الفائز بجائزة أمير الحرف للشعر في صنف الشعراء الشباب، أرجو من المشاركين الصعود إلى المنصة.

اصطف المشاركون على المنصة، ثم صعد ممثل اللجنة و قد كان شاعرا معروفا في مدينة الجديدة يدعى مصطفى العطاري، كان أيمن يجد شعره ركيكا و برغم ذلك كان يكن له احتراما كبيرا، و كم عزم من مرة أن يعبر له عن رأيه الصريح في شعره ثم يتراجع.

أخذ الشاعر مصطفى العطاري الميكروفون و قال :

- في الحقيقة حين قرأت قصائدكم أدركت أنه لا وجود لشاعر شاب و آخر ذي خبرة، إذ لا فرق بيننا و بينكم، فمستواكم في الكتابة جيد و مواهبكم جلية للعيان، و بعد نقاش مطول بين لجنة التحكيم استقر رأينا على فائز واحد من بينكم ...

تأمل وجوههم قليلا ثم قال :

- الفائز هو أسامة صبحي.

اهتزت القاعة بالتصفيق لأسامة صبحي بينما صافحه المشاركون مهنئين إياه، حين هدأت الأجواء قليلا أردف الشاعر مصفطى العطاري :

- و جاء في المرتبة الثانية : أيمن الخزرجي.

أخذ أيمن جائزته التي كانت عبارة عن كتاب في تاريخ الأدب العربي ألّفه حنا الفاخوري، و ديوان شعري كان يحمل عنوان : أنا من شيّأ الأشياء.

****

عند الساعة السابعة و خمس عشرة دقيقة بلغ أيمن المنزل حيث يقطن بحي سيدي موسى، كان يكتري غرفة رفقة صديقين آخرين، كان طالبا بكلية العلوم بالجديدة شعبة الكيمياء، أمضى أربع سنوات دون أن يحصل على الإجازة كحال معظم الطلبة و يأمل في عامه هذا أن يكون الأخير، خاصة أنه لم يتبقَّ له سوى أربع مواد بالأسدوس السادس.

حين ولج الغرفة ألقى على صديقيه السلام، كان أحدهما يدعى مصطفى الضاوي يدرس أيضا بكلية العلوم شعبة الفيزياء، كان يصف نفسه بأنه شاب ملتزم يُعفي لحيته و يرتدي غالب الوقت قميصا فوق الكعبين إذ كان يعتقد أن تقصير الثياب سنة نبوية وجب الحفاظ عليها، كان أيمن يحبه و يحترمه رغم الاختلاف الكبير بينهما، أما الشاب الآخر فقد كان يدعى جمال سيف الدين طالب بشعبة اللغة الفرنسية، كان يقضي معظم وقته في المقهى و تدخين السجائر، كما كان في صراع دائم مع مصطفى بسبب رميه لبقايا السجائر بالغرفة.

تفحص أيمن الغرفة ببصره كانت مبعثرة و ملوثة، كانت قنينة الغاز في الركن و فوقها مقلاة و حولها قشور بيض، و إبريق الشاي ساقط على وجهه و تحيط به كؤوس متسخة، أعرض عن هذه المشاهد و تأمل قليلا وجه مصطفى الذي كان يقرأ كتاب "أحداث النهاية" للشيخ محمد حسان ابتسم حين لمح الدموع في عينيه بيد أنه لم يعلق بأي شيء، فهو يعلم أن مصطفى شاب متدين جدا و يذكر جيدا كيف قام ذات مرة بتمزيق كتبه التي كان يصنفها على أنها كتب كُفْرية تشجع على الرذيلة و الفسق و من بينها دواوين لنزار قباني و روايات غادة السمان و رواية أولاد حارتنا لنجيب محفوظ و بعض كتب فرج فودة، رغم أن ما فعله جريمة عظيمة غير أن أيمن غفر له ذلك دون أن ينساه.

استلقى أيمن في فراشه ثم رفع بصره إلى مكتبة مصطفى الصغيرة في ركن الغرفة، كانت كل الكتب الموجودة بها كتبا دينية، تأمل أحدها و هو كتاب "شرح الأربعين النووية" لابن دقيق العيد، كانت ذبابة تجلس فوق حرف الحاء في عنوان الكتاب فأصبح "شرخ الأربعين النووية"، جعله هذا المشهد يبتسم.

تجاهل كل شيء حوله و شغل الموسيقى بهاتفه ثم وضع السماعات في أذنه فانطلق صوتُ كاظم الساهر رخيما :

" نُفيتُ .. واستوطن الأغرابُ في بلدي

ودمّروا كل أشيائي الحبيباتِ "

****

كانت الساعة تشير إلى التاسعة و النصف مساء حين أشعل أيمن هاتفه ثم ولج إلى موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، وجد طلب صداقة جديد، كان الحساب يحمل اسم : سعيدة فيروز، قَبِل الطلب ثم أخذ يتصفح الفيسبوك، فجاءته رسالة من الحساب الجديد :

- مساء الخير أيها الشاعر، لعل رسالتي ستفاجئك و أتمناها أن تكون مفاجأة سارة لك، في الحقيقة لم أستطع أن أمنع نفسي من الكتابة إليك يا صديقي، لن أطيل عليك أردت القول فقط أني حملتك في قلبي و ذهبت !

ظل أيمن يتأمل الرسالة صامتا من وقع المفاجأة، إنها هي، سعيدة الماجدي المغنية التي قابلها اليوم في المسابقة الشعرية، إنها نفسها التي تجاهلته و تظاهرت أنها لا تهتم له برغم أنه ظل يحدق فيها، فكر : " هل أجيبها الآن؟، سأنتظر قليلا، لكن ماذا لو ظنت أنني أتجاهل

رسالتها؟، حينها قد تقوم بحظري و لن أحظى بحديث مع هذه المغنية الفاتنة."

تخلى عن تردده و كتب لها :

- مساء الورد صديقتي الجميلة ذات الصوت الملائكي، أشكرك على كلماتك الجميلة، لقد أسعدتني فعلا، أنا أيضا أردت حملك في قلبي لكن كل مقاعده كانت محجوزة، لذلك أعتذر لك بالنيابة عنه.

تأخر ردها لأكثر من نصف ساعة حتى همّ بمغادرة الفيسبوك فوصلته رسالة منها :

- في قلب كل منا مقعد شاغر يستريح عليه بعض العابرين

أعجب بجوابها و شعر أن الحديث معها سيكون له طعم خاص، رد عليها قائلا :

- و هل ترضين أن تكوني عابرة بقلب أحدهم ؟

قالت :

- لا بأس إن كان قلب شاعر، يدبج الكلام مثلما يدبج الصائغ قلادات الذهب

رد قائلا :

- شكرا على الإطراء صديقتي

قالت نافية :

- ليس إطراء صديقي، لقد فتنت حقا بشعرك، و إلا ما وجدتني أتحدث إليك

قال مازحا :

- فُتنتِ بِشِعْري أم بي أنا ؟

ردت قائلة :

- بكما معا

قال :

- أحترم إعجابك هذا، لكن وددت لو كان في ظروف أخرى

قالت متسائلة :

- أي ظروف تقصد ؟

قال موضحا :

- لو لم أكن مرتبطا ..

-2-

تعود بي الذاكرة ..

حين كنت ماء مهينا

أحلم بالمجيء لهذا العام

أسابق الملاييننا

تعود بي الذاكرة ..

فأقول للحيوان المنوي الراكض خلفي :

يا صديقي .. ليتك سبقتني

إني أجلس هنا ألعن القدر

آخذ برأسه و لحيته ..

أصرخ في وجهه :

لماذا مزقتني ؟

أقول للحزن الضاحك من حزني ..

ألا يكفيك ما أذقتني ؟

مصلوب أنا كالمسيح على حائط الشقاء

أصرخ في ألم :

إيلي .. إيلي .. لم شبقتني ؟

*****

تعود بي الذاكرة ..

فأقول للحيوانات المنوية المحطمة ..

تظنون أني عليكم انتصرت ؟

فتبا للانتصار الهزيمهْ

تبا لهذه الحياة الأليمهْ

المجد للعدم ..

المجد لكل النهايات العظيمهْ

*****

إني هنا ..

أجلس منفطر القلب حزينا كئيبا

إني هنا ..

أنسج المنى ..

أقول : لعل النهاية تكون قريبا

استقل أيمن سيارة الأجرة المتوجهة من الجديدة إلى البئر الجديد بعد جدال مع السائق حول أجرة السفر و الذي قبل على مضض أن يقله بخمسة عشر درهما.

كانت الساعة تشير إلى التاسعة صباحا و إحدى عشرة دقيقة حين بلغت سيارة الأجرة مدينة البئر الجديد و هي مدينة صغيرة تقع بين مدينتي الجديدة و الدار البيضاء يكون المسافر بينهما مضطرا للعبور منها إن لم يسلك الطريق السيار.

ذهب أيمن ليستقل سيارة أجرة أخرى لتقله نحو الطريق الساحلية، دفع ثمانية دراهم ثم انطلقت سيارة الأجرة بعد امتلائها بستة ركاب، كانت عشرون دقيقة كافية ليبلغ وجهته .

نزل أيمن ثم سار على قدميه حوالي كيلومترين قبل أن تتوقف قربه عربة يجرها حصان أبيض هزيل الجسم، قال صاحب العربة :

- أين وجهتك ؟

رد أيمن بصوت متعب :

- دوار ولاد سالم

ركب أيمن العربة ثم أخذ يتجاذب أطراف الحديث مع سائقها حتى بلغ دوار ولاد سالم فنزل شاكرا الرجل، ثم توجه إلى بيت قروي لم تصبغ معظم جدرانه، أفزعه كلب كان مربوطا عند الباب حين دخل في نوبة نباح قبل أن يصمت و يحرك ذيله مرحبا.

دخل أيمن البيت فاستقبلته امرأة في الخامسة و الأربعين من عمرها تبدو عليها علامات التعب و الإرهاق، عانقها قائلا :

- كيف حالك يا أمي ؟

ردت بصوت خفيض :

- بخير يا ابني، كيف حالك أنت ؟

أومأ برأسه قائلا :

- بخير، الحمد لله

كان صوت ناظم الغزالي يصدح من الغرفة المجاورة :

" طالعة من بيت أبوها رايحة لبيت الجيران

فات ما سلم علي يمكن الحلو زعلان

قلت لها يا حلوة ارويني عطشان مية اسقيني

قالت لي : روح يا مسكين، ميّنا ما تروي العطشان "

قال أيمن مازحا :

- لقد ذكرتني الأغنية أنني عطشان

دخل المطبخ، كانت الأواني موضوعة على الأرض، تناول إناء من بينها ثم خرج و توجه نحو برميل أزرق يقف وحيدا تحت شجرة عجوز، ملأ الإناء و شرب حتى ارتوى، و قال مازحا :

- مازال ماء هذا البيت يروي

ثم قال متسائلا :

- أمي، أين مريم ؟

صرخت من داخل البيت :

- إنها ترعى الغنم

ثم استطردت :

- هل تشعر بالجوع ؟

قال نافيا :

- لا، شكرا، سأذهب لألقي التحية على مريم

****

خرج إلى البرية ثم ألقى ببصره بعيدا بحثا عن أخته مريم، لاح له قطيع غنم فسار نحوه، تجلى له جسم أخته جالسة تراقب النعاج وهي تملأ بطونها بالعشب، التفتت خلفها فوجدته يقف عند رأسها و الابتسامة تعلو محياه، قفزت من مكانها فَرَحا و احتضنته قائلة :

- أيمن

قال و هو يحضنها بقوة :

- كيف حالك ؟

قالت بالنبرة السعيدة ذاتها :

- بخير، و أنت ؟ أتمناك بخير.

قال بنبرة جازمة :

- بألف خير، الحمد لله

ثم قعدا يتحدثان، قال أيمن و هو يتأمل نعجة اقتربت لتأكل العشب المحيط بقدمه :

- كيف هي الأوضاع في البيت ؟

قالت بنبرة حزينة :

- كما عهدتها دائما، لا يمر يوم دون شجار و دون أن يفتعل أبي مشكلة من دون سبب

قال متسائلا :

- هل ما زال يضرب أمي ؟

أخفضت رأسها ثم قالت مغيرة الموضوع :

- كيف حال دراستك ؟

قال :

- جيدة، هذا عامي الأخير بالكلية كما تعلمين.
- أتمنى لك التوفيق أخي العزيز

تناول من يدها عصا كانت تهش بها على الغنم ثم قال :

- اذهبي للبيت لمساعدة أمي، سأرعى الغنم بدلا عنك.

****

عند الواحدة و النصف عاد أيمن إلى البيت، أدخل الغنم إلى الزريبة ثم ولج البيت، فانتصب أمامه والده بملامحه القاسية، كان رجلا طويلا ضخم الجثة و هي صفات لم يرثها عنه أيمن، كان اسمه بوشعيب، (ثلث الرجال في ولاد سالم اسمهم بوشعيب و الثلث الآخر اسمهم محمد و الثلث المتبقي موزع على باقي الأسماء) ،اقترب منه ليسلم عليه، كان وجهه بعيدا عنه، فوقف على أطراف أصابعه و مدد عنقه حتى يستطيع

أن يلامس وجهه، شعر و كأنه يتسلق شجرة، تذكر لحظتها قولا له حين كان يشاتم أحد الرجال بالقرية :

- حري بالرجل أن يكون طويلا و ليس قزما مثل عقب سيجارة، كلما ابتعد الرجل عن الأرض كان رجلا

و كان يكتمها في نفسه و لا يبدها له فيقول :

- حري بالرجل أن يكون رجلا فقط، يحترم نفسه و أهله و يعتني بهم.

تناولوا الغذاء في صمت دون أن يتبادلوا كلمة واحدة، ثم ذهب أيمن إلى غرفة أخرى و أخرج من محفظته كتابا و استرسل في قراءته.

مثل كل زياراته السابقة أعادت له زيارته هذه للبيت الكثير من الذكريات، حين كان يستيقظ في الصباح الباكر على صراخ والده، انتابه الغضب فضرب الأرض بقبضة يده حين تذكر والده و هو يضرب أمه، ما تزال بعض آثار الضرب بادية على جسمها، خصوصا بعض الحروق على ذراعها الأيمن حيث رماها ذات مرة بإبريق شاي ساخن، تذكر شجاره مع والده حين أخرج أخته من الثالث ابتدائي و منعها من الدراسة، بل هو نفسه أمره بترك المدرسة حين نجح في السادس ابتدائي و طلب منه أن يعمل في الحقول مع بعض الفلاحين في المنطقة كي يساعده في إعالة الأسرة لكنه رفض رفضا قاطعا و تمسك بدراسته حتى يئس منه أبوه و تركه.

غادر الغرفة و لبس حذاءه و هم بالخروج فسألته مريم أين يذهب، قال :

- إلى المدرسة.

****

كانت المدرسة تبعد عن بيتهم بحوالي أربعة كيلومترات، تذكر و هو يقطع الطريق كل شجاراته على قارعتها، حاول تذكر بعض من درسوا معه لكن وجوه معظمهم قد غرقت في مياه الذاكرة.

بلغ المدرسة أخيرا، لمح عبارة مكتوبة بخط أحمر عريض : مجموعة مدارس ولاد سالم، ليس يكفيه ألف كتاب ليروي ذكرياته بهذه المدرسة، كان تلميذا مجتهدا مُقدّرا من جميع أساتذته و هذا أمر يعرفه الكبير و الصغير في ولاد سالم، لم يكن تلميذا عاديا مثلما قال له أحد أساتذته مرة، جلس عند باب المدرسة فأخذت الذكريات تمر بمخيلته مثل شريط غير مرتب الأحداث، و ابتسم حين قفزت ذكراه معها إلى عقله، كان اسمها سمية، تعلق بها و هو طفل صغير، و كانت أول فتاة يكتب لها رسالة غرامية في حياته، تأسف لأنه لا يذكر ما كتبه لها بالضبط، ثم ضحك بصوت مسموع حين تذكر كيف عاقبه الأستاذ حين اكتشف أمر الرسالة و مازال يتساءل منذ ذلك الحين : ما الخطأ الذي ارتكبه و جعل أستاذه يعاقبه؟ إنه فقط عبر عن مشاعره لفتاة أعجبته.

كانت الساعة تشير إلى الخامسة مساء حين عاد إلى البيت، و قد وجده في حالة فوضى حيث كان أبوه يزمجر شاتما، سأل مريم عن السبب، فقالت :

- لقد نسيتُ أن أعطي التبن للغنم.

تنهد في ضيق صدر ثم دخل إلى البيت دون أن يعلق بأي كلمة.

-3-

استيقظ أيمن باكرا و ودع أهله ثم استقل تاكسي إلى البئر الجديد، كان لديه موعد مع أحد دور النشر بالدار البيضاء، اتجه إلى محل أنترنيت فطبع بعض الأوراق، قبل أن يركب الحافلة باتجاه الدار البيضاء.

عند الحادية عشرة و النصف صباحا كان يقف عند باب مكتوب عليه : دار الفراهيدي للنشر و التوزيـع، ولج إليها ثم طلب مقابلة المدير، فأذن له بالدخول.

كان شابا في الثلاثينيات، معتدل القامة ، ذا ملامح عادية تنساها بمجرد فراقك معه، استقبله بابتسامة عريضة ثم طلب منه الجلوس، قعد أيمن شاكرا إياه ثم ناوله حزمة الأوراق قائلا :

- أنا أيمن الخزرجي، كنت اتصلت بك لأني أرغب في نشر كتاب

رد عليه بنبرة ترحاب :

- أهلا و سهلا بك سيد أيمن

ثم أخذ يتفحص الأوراق، كان مكتوبا على الورقة الأولى بخط عريض : أناشيد الحب و الفراق، و فوقها بخط أصغر اسم أيمن الخزرجي، و أسفلها : شعر.

قال مدير دار النشر بنبرة تعجب:

- هل هذا ديوان شعري ؟

رمقه أيمن بنظرة استغراب و قال :

- نعم، ديوان شعري.

قلّب المدير الأوراق بين يديه دون اكتراث لمحتواها ثم وضعها جانبا، و قال :

- أعتذر لك سيد أيمن، فنحن لا ننشر الدواوين الشعرية

قال أيمن متسائلا :

- حسنا، لكن هل يمكنك التوضيح لماذا ؟

رد قائلا :

- لقد ولى زمن الشعر سيد أيمن، هذا زمن الرواية، من منا ما زال يشتري ديوان شعر؟ ألا تلاحظ أن في كل معارض الكتب تحقق الروايات أعلى المبيعات بينما بعض دور النشر لا تبيع ديوانا واحدا ؟

قال أيمن :

- و هل المسألة متعلقة بالمال فقط؟

أجاب المدير :

- طبعا أستاذ، فهذه شركة و لن تفكر إلا فيما يجلب لها الأرباح

قال أيمن :

- فهمت، و إذا أردت طبع ديواني على نفقتي الخاصة، كم يلزمني من المال؟

رد المدير قائلا :

- كم تريد من نسخة ؟

قال أيمن :

- حوالي ألف نسخة.

رد المدير بعد أن أجرى عمليات حسابية ذهنية سريعة :

- ستحتاج حوالي تسعة آلاف درهم

ثم أردف :

- لكن، كنصيحة لك أستاذ أيمن، لا تخسر نقودك عبثا، لا تراهن على حصان خاسر، إن كتابة ديوان شعر في هذا العصر مشروع فاشل.

شعر أيمن بالإحباط بسبب الثمن المرتفع الذي طلبه، لكنه لم يهتم بكلامه حول انتهاء زمن الشعر، أخذ أوراقه ثم صافحه و قال قبل أن يغادر :

- أؤكد لك أنك مخطئ سيدي، فما زال بإمكان الشعر أن يقاتل في معارك الأدب و ينتصر.

أومأ الرجل في غير اقتناع، راسما على شفتيه ابتسامة تعاطف.

غادر أيمن دار النشر والحيرة تفترس قلبه.

*****

بعث ديوانه بعد ذلك للكثير من دور النشر، فتلقى حوالي اثنتا عشرة رسالة رفض، حملت معظمها هذه العبارة :

" نعتذر إليكم، نشر دواوين الشعر متوقف حاليا

نتمنى لكم التوفيق"

و ما به الشعر؟ لماذا أصبح منبوذا هكذا ؟ لماذا تخلى الناس عن قراءته و تذوقه ؟ هل يلفظ الشعر حقا أنفاسه الأخيرة ؟

هي أسئلة كثيرة ظلت تصدع دماغه و هو الذي يحلم أن يصير شاعرا كبيرا و مشهورا، كيف يمكنه ذلك و دور النشر نفسها ترفض نشر ديوانه؟ فكيف سيجد من يقرأه من عامة الناس ؟

عاد إلى حي سيدي موسى بالجديدة حيث يكتري، استلقى في فراشه متعبا كمن عاد من معركة خسر فيها كل خيوله و جنوده، أخرج هاتفه قائلا :

- لم أتحدث إليها اليوم لا بد أنها غاضبة مني.

فتح الهاتف، كانت صورتها تزين شاشته لمس وجهها برفق ثم همس :

- أحبك.

الفصل الثاني

أقسم بجميع الآلهه ..

التي تؤمنين بها و لا تؤمنين ..

أنك أهم امرأة في حياتي

و أنك الشمس التي ..

تغسل كل صباح وجه سماواتي

لي ألف أمنية أتمناها ..

لكن أن تكوني معي ..

تلك أعظم أمنياتي

****

أقسم على القرآن و الإنجيل

على التوراةِ

على الكتب المقدسة ..

في جميع الدياناتِ

أني أحبك ..

و أن وجهك قبلة صلواتي

****

أقسم بكل ما هو مقدس ..

أنك أعظم مقدساتي

و أن الجرح الذي تركته بقلبي ..

كان أزكى جراحاتي

لعلها المرة الخمسون بعد المئة التي تقرأ فيها هذه القصيدة منذ أهداها لها، مع الحرص على ذكر اسمه في كل مرة دون ضجر : أيمن الخزرجي.

اسمها زينب، زينب ظافر، ولدت قبل واحد و عشرين عاما بمدينة أكادير لأب يشتغل ميكانيكيا و أم ترعى شؤون البيت في غيابه مثل معظم الأسر في المغرب، و بعد ولادتها بعامين أنجبت أمها طفلا آخر، اختاروا له من الأسماء : سفيان.

انتقلت أسرة زينب إلى البئر الجديد حين كانت في الثانية عشرة من عمرها، كان لأبيها أخ يشتغل إمام مسجد بالبئر الجديد و هو الذي زين هذه المدينة الصغيرة في أعين أبيها.

سرعان ما تأقلمت مع الحياة هنا، و لم تشعر بالوقت حتى وجدت نفسها قد حصلت على شهادة البكالوريا و التحقت بكلية العلوم بمدينة الجديدة، كانت دراستها هي همها الوحيد فلم تشعر يوما أنها تحب أحدا و لم تعتريها رغبة جنسية تجاه أحد، لقد كانت مثل آلة ميكانيكية، حتى أصدقاؤها كان معظمهم إناثا ما عدا صديق واحد، كانت تشعر أنه يعوض أخاها سفيان الذي لم تكن علاقتها به جيدة، حيث كان عنيفا سليط اللسان، يحاول كلما سنحت له الفرصة أن يشعرها أنها دونه بحكم أنه الذكر و أنها الأنثى، و ليس الذكر كالأنثى حسب اعتقاده، و قد كانت هي أيضا ترسخ لذلك بتعاملها معه، حيث كانت شبه خاضعة له و لأوامره، تخشى غضبه عليها و تتفاداه، كان صديقها ذاك يدعى أحمد و قد كان تلميذا لدى عمها في دار القرآن بالبئر الجديد.

كان روتينها اليومي أن تعود من الكلية و تراجع دروسها ثم تفتح الفيسبوك أو الواتساب لتحادث صديقاتها أو صديقها أحمد الذي لم يمر يوم دون أن تتحدث إليه، و ذات ليلة تأخرا في الحديث حتى الثانية

صباحا، و لأول مرة تجاذبا أطراف الحديث حول الجنس، تملكها شعور غريب لحظتها غير أنها سرعان ما غيرت الموضوع قائلة :

- إن الحديث عن الجنس و التفكير فيه و أنت غير متزوج أشبه بأن تأخذ حبات تفتح شهيتك للأكل و أنت جائع لا تملك طعاما.

أجابها بعد ثواني :

- صدقت.

ثم غير الموضوع تماما :

- هل تعلمين لماذا غادرت الكلية و ذهبت لأشتغل ؟

قالت مفترضة :

- ربما لأن ظروفك المادية لا تسمح لك بالدراسة، لكني مع ذلك أتمنى عودتك.

تأخر رده لدقيقة حتى شعرت أنه قد مر عليها عام و هي تنتظره ثم قال :

- بل لأني أريد الزواج، أليس من الأفضل للجائع أن يتناول الطعام ؟

قالت مازحة :

- هل وجدت وجبة مناسبة ؟

تأخر رده هذه المرة أكثر حتى همت بالنوم لولا أنه قال :

- في الحقيقة يا زينب أنا أحبك و أرغب في الزواج منك

كان جوابه صادما لها، ظلت تفكر حتى أخذها النعاس دون أن تجيبه.

ظل المنبه يرن صباحا عند رأسها حتى أحس بالضجر فسكت، و لم

تستيقظ إلا بعد مرور ثلاث ساعات تقريبا، فتحت هاتفها فوجدت سيلا من الرسائل من أحمد :

" أنت فتاة مهذبة و طيبة و خلوقة جدا يا زينب و ألف رجل يتمناك، لم أقابل في حياتي فتاة أطهر و أنقى منك "

" أشعر بالخجل و أنا أكتب لك هذا الكلام فأنا أعلم شدة حيائك و لكن كان لا بد من قوله"

" أتمنى لو أنك تبادليني نفس الشعور "

" أعدك أن نعيش سعيدين و أن أكون خير زوج لك "

فكرت طويلا في كلامه حتى شعرت ببعض الدوار، لم تتخيل أبدا أنها ستضطر يوما أن تجيب على كلام كهذا خصوصا و أنه يصدر عن أحمد، ظلت تكتب و تمسح حتى استقر رأيها على هذه الرسالة :

" صديقي العزيز أحمد

أنت تعلم مدى احترامي و تقديري لك و لكني أعتبرك أخا و صديقا لا أقل و لا أكثر، و أرجو أن تبقى علاقتنا في هذا الإطار، و أن لا نتناول هذا الموضوع بالحديث مجددا "

-2-

قالت : جميل أن يحبك شاعر

حينها يكون الخير منك قد اقتربْ

جميل أن تشعري أن جسدك قصر

ملاطه المسك .. و جدرانه الذهبْ

جميل أن تحلقي في جو السماء ..

مع أسراب الطير .. مع السحبْ

جميل أن تغدو موجات صوتك ..

أغنية عذبة .. و سمفونية طربْ

جميل أن تصبح خدودك و نهودك

قصائدا تستلقي على صفحات الكتبْ

و أن يقرأ الناس عنك بعد ألف عام

كحضارة .. كأميرة عريقة النسبْ

جميل أن يستوطن لون عينيك ..

و شكل يديك دفاتر الشعر و الأدبْ

جميل أن تصبحي في دين العشق

كعبة .. يحج إليها قلب كل محبْ

جميل أن تكوني ملهمة شاعر

حينها يكون الخير منك قد اقتربْ

حينها تتحولين من مجرد امرأة ..

إلى جنة كريمة من توت عنبْ

حينها قد تجلسين في بيت أبيك

و جسمك قد دخل كل بيوت العربْ

أن تقرأ قصائده صار طقسا من طقوسها اليومية، إنها لا تعلم حتى الآن لماذا أحبته في هذا الوقت القصير ؟، شيء وحيد كانت على يقين منه أنه لم يكن يشبه أحدا ممن تعرفهم، إنه ليس محافظا مثل أحمد، بل شاب متمرد على كل ما هو تقليدي و معتاد، إنه لا يستحي مثلا أن يخبرها و هو ينظر في عينيها أنها تملك نهدين مثيرين، فيحمر وجهها خجلا و تغير الموضوع بسرعة لتحدثه عن الدراسة و عن ضرورة النجاح في كل المواد و أحيانا تحدثه عن أثمنة الطماطم المرتفعة و كيف أنها تنقلت بين الدكاكين حتى تشتري البيض لتحضر وجبة الغذاء، لم يكن يهمها ما تقوله بقدر ما كان يهمها أن تغير الموضوع.

رغم طبيعته المتمردة و ميله الشديد إلى كسر الطابوهات في حديثه معها بيد أنه كان يحترم آراءها و مبادئها إذ أنها نشأت في أسرة محافظة و متشددة دينيا، فكم من مرة أخبرته أن أباها قد يقتلها إن علم بعلاقتهما، لم يعلق يوما على حديثها و لم يشعر أنه مضطر لإخبارها أنه نشأ في ظروف أصعب لكنه مقتنع أن كل شخص يبني أفكاره بنفسه، أليس من بين الصخور تطلع أجمل الزهور؟، بل إن بعض الأزهار تنبت وسط المزابل ؟

لماذا أحبته ؟

هذا سؤال لم تجد له جوابا حتى الآن، لم تفهم كيف كانت ثلاثة أشهر كافية لتذوب في حبه كما تذوب قطعة السكر في الماء الساخن، إنها لم تتخيل يوما أن تقول لشخص أنها تحبه و هي تنظر في عينيه و لكنها فعلت، و لم تتخيل أن تعانق ذكرا إن لم يكن والدها أو أخاها أو زوجها و لكنها فعلت، لم تعتقد يوما أنها ستُقبّل شابا بعنف و شهوة و لكنها

فعلت، تذكر ذلك اليوم و كأنه أهم يوم في حياتها حيث ظلت تدرس في الكلية حتى السابعة إلا الربع مساء قبل أن تلتقيه عند شاطئ البحر مثلما اتفقا، كان من عادته أن يدرس معها لكنه في ذلك اليوم لم يفعل بل قضى اليوم كله في البيت كأنه يستعد لأمر عظيم، و عند السادسة و النصف مساء كان في كامل أناقته، ثم رش عليها قليلا من العطر وضع القارورة جانبا، كان مكتوبا عليها : "كارلوس مويا"، إذ أنه عطره المفضل.

كانت الساعة تشير إلى السادسة و خمس و ثلاثين دقيقة حين غادر البيت باتجاه شاطئ مدينة الجديدة، كانت خمس عشرة دقيقة كافية ليصل، راقب ساعته فوجد أنها السادسة و خمسون دقيقة، وقف في اتجاه البحر و هو يسمع إلى وائل جسار عبر السماعات :

" قولي شيئا برجاءْ

أتحبينني بوفاءْ ؟ "

لم يمر وقت طويل حتى تجلت أمامه مثل الملاك، كانت بيضاء كالفجر يزيد حجابها الأسود وجهها بياضا، مدت يدها لتصافحه لكنه لم يصافحها، فقالت مازحة :

- هل التزمت أخيرا ؟

تبسم ضاحكا من قولها ثم قال :

- هل يتصافح الحبيبان باليد إذا التقيا في موعد غرامي ؟

ظلت جامدة، لم تعرف بماذا تجيب، فاقترب منها ببطء ثم حضنها، شعرت بالقشعريرة تسري في جسدها ثم سكنت عن الحركة تماما حتى

شعر أنه يعانق تمثالا فقال لها :

- لو حضنك شخص غريب و بقيت جامدة هكذا لكانت إهانة له، فكيف بحبيبك ؟

لم يحرك كلامه هذا في نفسها شيئا فشعر باليأس حتى همّ بالابتعاد عنها لتفاجئه و تحتضنه بشدة حتى ظن أنها ستكسر ضلوعه، ثم همست في أذنه :

- أحبك

ابتسم ثم همس لها :

- أحبك أكثر

قبل أن تتركه و تبتعد كمن أفاق من سُكْره، أمسك بيدها ثم سارا معا جنب البحر حيث كانت الأمواج على بعد متر منهما تعانق الشاطئ ثم تعود أدراجها.

ظلا صامتين مدة من الزمن فَبَصُرَا ببائع ورد قادم من بعيد فتحسس جيبه كانت فيه بعض الدراهم، اقترب منهما بائع الورد كما توقع ثم قال :

- ألن تشتري لحبيبتك الجميلة وردة ؟

ردّ باسما :

- وددت لو أشتري لها حديقة يا صديقي

ثم تناول وردة منه و قدمها لها، فأخذتها مبتسمة و قد تسرب الدم إلى وجنتيها.

أخرج أيمن من جيبه النقود ثم أعطاه إياها دون أن يحصيها و دون أن

يسأله عن الثمن، فلم يتفحص بائع الورد النقود أيضا من باب اللباقة و انصرف متمنيا لهما حياة سعيدة.

أمسكت الوردة بين يديها ثم قربتها من أنفها و شمتها و هي تتأمل وجهه الذي بدا لها وسيما أكثر من ذي قبل، دنا منها قليلا و دون أن يقول شيئا قبّل شفتيها، شعرت بحرج شديد و قالت في عتاب :

- أيمن

لكنه لم يهتم لعتابها و عاد يقبلها مرة أخرى دون أن تقاومه بل أمسكت رأسه بيديها حتى صارت الوردة و كأنها تنبت برأسه ثم أخذت تقبله بكل عنف و شهوة.

-3-

جاءت و الصباح الباكر
كأنها شمس لامعة الجبينْ
حضنت يدها يدي ..
مثلما يحضن المشتاق أحبابه البعيدينْ
سرنا معا لدقيقة أو دقيقتين
ثم جلسنا طويلا ..
على مقعد يقضي يومه في سماع حكايا العابرينْ
لم نكن حبيبين .. كنا مثل الحبيبينْ
***
التقيتها و أنا أحمل في يدي رواية
و عدت و أنا أحمل في قلبي روايتينْ :
وجهها لوحة قدرها مليار دولار ..
و حديثها أكثر تشويقا من روايات يوسا
و حكايا لافونتينْ
***
لم نكن حبيبين .. كنا مثل الحبيبينْ

لماذا أحبته ؟

إنه سؤال لم تجد له جوابا حتى الآن، ربما لا تهتم بالإجابة عنه أصلا، تذكر جيدا ذلك اليوم حين تعرفت عليه أول مرة. درست كعادتها حتى المساء ثم عادت إلى البيت الذي تكتريه بحي السلام

بالجديدة رفقة صديقة أخرى، و عند تناولها الطعام دخلت تتصفح الفيسبوك فوجدت طلبات صداقة جديدة و أخذت تقرأ الأسماء :

- أميمة الساجعي، إنها الفتاة التي تعرفت عليها في حصص الأعمال التطبيقية.

قبلت صداقتها ثم استرسلت :

- أيوب مفتاح

دخلت إلى حائطه فتفحصته جيدا ثم مسحت طلب صداقته، و أخذت تتفحص باقي الطلبات فتمسح بعضها و تقبل الآخر حتى وصلت إلى طلبه :

- أيمن الخزرجي

تفحصت صفحته أيضا، كان أول منشور وقع بصرها عليه يقول : " برغم أنك المرشح الوحيد لنيل حبي و رئاسة مشاعري، لكن لم تفز بالانتخابات بعد، فقلبي يساري يؤمن بك و بثورتك لذلك يصوت لك، أما عقلي فمحافظ يميل إلى الاستقرار ضد الثورة لذلك يصوت ضدك، بعبارة أدق : أنا أحبك لكني لا أختارك"

شد المنشور انتباهها، و ظلت تفكر فيه مدة غير يسيرة حتى قالت في نفسها :

- يبدو أن قلبي و عقلي كلاهما محافظان يميلان إلى الاستقرار ضد الثورة.

ثم استرسلت في قراءة منشوراته و التي كان معظمها عبارة عن قصائد وقع تحتها ب : أيمن الخزرجي.

بلغت قصيدة كان عنوانها : لوحة من توقيع ليوناردو دافنتشي، فأخذت تقرأها مرات و مرات دون ضجر :

الشعر رسم بالحروف

و الشاعر رسام و فنانُ

و أنت الملهمة ..

و أنت اللوحة و الريشة و الألوانُ

أرسمك عذراء ضحكتها موسيقى و ألحانُ

أرسمك ملاكا وجهه سماء مرصعة بالنجوم ..

و أخلاقه آي و قرآنُ

أرسمك شجرة شامخة ..

تحت ظلها تستريح أيائل و غزلانُ

أرسمك نهرا جاريا ..

من مائه العذب يرتوي قلبي العطشانُ

أرسمك قمرا ينيرني

أرسمك أميرة تحررني

ارسمك قديسة تطهرني

أرسمك جنة فيها تفاح و رمانُ

في أي صورة أشاء أرسمك ..

لكن تظلين أنت هي أنت

آية الله العظمى ..

التي يعجز عن وصفها الإنسانُ

قبلت طلب صداقته ثم غادرت صفحته و أكملت جولتها بين باقي الصفحات، فجاءتها رسالة منه :

- مرحبا، هل يمكنني التعرف عليك؟

بدت و كأنها كانت تنتظر رسالته، ردت فورا :

- سلام، نعم ممكن، أنا زينب من البئر الجديد، أدرس بكلية العلوم شعبة الكيمياء

رد قائلا :

- تشرفت بك، أنا أيمن من البئر الجديد أيضا، و أدرس بشعبة الكيمياء أيضا.

كانت هذه القواسم المشتركة بينهما مادة دسمة لبدء حديث طويل ، شعرت أنه مختلف تماما عن كل من تعرفهم، يختار كلماته بعناية فائقة، يجيد التلاعب بالكلمات و المراوغة، في حديثه نكهة جميلة جعلتها لا تحب أبدا أن ينتهي.

استمرت تحادثه كل ليلة بشغف، كانت تحكي له كل تفاصيل يومها، تخلت عن حديثها مع صديقاتها و مع أحمد أيضا الذي أصبح حديثها معه شحيحا منذ أن اعترف لها بحبه و رغبته في الزواج منها.

غرقت في بحر كلمات أيمن الساحرة، لقد كانت تقبل عليه مثل السكران، لم تشعر إلا و هي تخرج لأول مرة في حياتها في موعد غرامي أو شبه غرامي.

*****

كانت ذات جسم طويل ممتلئ، بيضاء مثل الثلج، ظن أيمن أنها غمست نفسها في برميل من الحليب قبل أن تأتي.

كان يحمل في يده اليسرى رواية التحول لفرانز كافكا ،مدت يدها لتصافحه ثم سارا معا بضع دقائق قبل أن تطلب منه التوقف في مكان قالت أنها تحبه، فاستجاب لطلبها دون تردد، جلس هو أولا ثم جلست هي على بعد سنتمترات منه، نزع السماعات من أذنه حيث كان كاظم الساهر يغني بصوت شجي :

" و نسيت دائي .. حين جاء دوائي

من ذا يقاوم نظرة السمراء"

قال في نفسه و هو يتأمل عينيها العسليتين ذواتي النظرات الناعسة :

- حتى نظرة البيضاء لا يمكن مقاومتها يا كاظم.

تجاذبا أطراف الحديث لنصف ساعة تقريبا، كانت فتاة خجولة، وجهها سريـع الاحمرار، رغم إعجابه الدفين بكل فتاة تملك كاريزما و شخصية قوية لكنه أحب حياءها الجميل.

لم يدم لقاؤهما لوقت طويل لكن هذا لم يمنعهما من الحديث في مواضيع شتى، و قد دب النشاط في نفسه حين أتت الفرصة على موضوع الأدب، قال و هو يقلب الرواية بين يديه :

- أنا كاتبي المفضل هو فرانز كافكا، أشعر أنه يشبهني و أتمنى لو أصير مثله.

قالت :

- لكن كافكا لم يكن شاعرا ؟

قال :

- و من قال ذلك ؟ إن الشعر ليس فقط كلاما مقفى و موزون، بل الشعر فلسفة حياة.

قالت و هي تزم شفتيها :

- أنت أدرى

ثم أضافت :

- أنا أحب الأدب الفرنسي عموما، و الكاتب غيوم ميسو خصوصا.

تمنى في تلك اللحظة لو أنه يمتلك مكتبة تضم كل كتب ميسو و بلزاك و موباسون حتى يدعوها إليها.

ساد بينهما صمت طويل قبل أن تقطعه قائلة :

- هل يمكنك إعارتي هذا الكتاب؟، أود اكتشاف ما يعجبك .

قال دون تردد :

- بالطبع.

*****

كان لدى زينب صديقة تقطن برفقتها، كانت فتاة متدينة تقضي معظم وقتها في الصلاة و قراءة القرآن و الاستماع إلى محاضرات الشيوخ، كانت زينب تحبها و تثق بها بشدة و لأنها كانت تشعر برغبة في الحديث عن أيمن مع شخص ما، لم تجد أفضل من صديقتها تلك التي كانت تدعى بتول.

نصحتها بتول بالتريث و سيكون من الأفضل لو ابتعدت عنه في هذه الفترة، لم تكن نصيحة مرغوبا فيها بالنسبة لزينب، فالابتعاد عن أيمن ليس خيارا مطروحا أبدا، فقد صارت مدمنة على الحديث معه.

صارت بتول تسألها كل يوم تقريبا عن أيمن و لم تبخل عليها بنصائحها التي كانت تصب كلها في نفس الاتجاه : ابتعدي عنه في هذه الفترة.

لم تكن نصائح بتول لتغير شيئا من مشاعر و رغبات زينب فقد انسحقت في حبه و لم يعد بإمكانها مقاومة رغبتها الملحة في إخباره أنها تعشقه حتى الجنون.

و ذات يوم اقترحت عليه أن يدرسا معا فوافق على الفور، كانت غايتها فقط أن تراه و كذلك كانت رغبته هو، ظل يدرسان معا حوالي الساعتين قبل أن تطلب منه المغادرة لأن لديها بعض الالتزامات، استجاب لطلبها فورا ثم وقف مودعا لها فأخرجت من حقيبتها رواية التحول لفرانز كافكا و ناولته إياها قائلة :

- لقد أحببتها، إن ذوقك جميل.

تبادلا عبارات الشكر ثم انصرفت بينما جلس هو مرة أخرى و أخذ يقلب صفحات الرواية و حين بلغ الصفحة 18، وجد بها ورقة صغيرة تم تقطيعها على شكل قلب و كُتِب عليها بقلم وردي :

" عزيزي أيمن

لم أعد أستطيع كتمان مشاعري، إني مثل غريغور سامسا في رواية التحول، لم أعد قادرة على إخفاء التحول الذي طرأ في حياتي، لكني لم أتحول إلى حشرة مثلما حدث له بل تحولت إلى فراشة جميلة تتجول في حدائق كلماتك الفاتنة.

عزيزي أيمن

إن صدري يكاد ينفجر كلما نظرت إليك أو ذكرتك أو تحدثت إليك.

عزيزي أيمن

أنا أحبك، أحبك من أعماق روحي"

لم يفاجئه كلامها كأنه كان ينتظره، ابتسم ثم استلقى على الكرسي و قد أعاد رأسه إلى الوراء، كان يشعر و كأنه حقق نصرا في معركة عظيمة.

-4-

دار القرآن، البئر الجديد

إنه السبت مساء، كان أحمد يجلس في دار القرآن و على يمينه سفيان، كان يقرأ مطوية وزعها عليهم القائمون هناك، كان الكل في انتظار الشيخ أبو عبد الرحمان عم زينب و سفيان الذي اعتاد أن يلقي الدرس هنا كل سبت بعد صلاة المغرب.

لم يتأخر الشيخ كثيرا في المجيء، ثم شرع في سرد مقدمته المعهودة التي يكاد الحضور يحفظها من شدة تكرارها.

كان موضوع الدرس عن نظرية التطور :

" فحربهم على الله و رسوله لم تتوقف أيها الإخوة، بل امتدت إلى العلم أيضا و برزت لنا نظرية التطور، لا شك أن معظمكم سمع بها أو قرأ عنها، فلم يعد الإنسان مخلوقا من طين كما أخبرنا الله سبحانه و تعالى في كتابه الكريم بل صار أصله قردا، قرد أيها الإخوة، فقد زعم العالم الانجليزي اليهودي تشارلز داروين أن القرد تطور و أصبح إنسانا، انظروا لخبث هؤلاء اليهود فلأن الله مسخهم و جعل منهم قردة و خنازير أرادوا أن يجعلوا من كل الناس قردة و خنازير، لكن هيهات هيهات، هذا كتاب الله المحفوظ بين أيدينا : إنا خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، صدق الله و من أصدق من الله قيلا؟، فأنى لهم التناوش من مكان بعيد."

ثم حكى قصة طريفة جعلت الحضور ينفجر ضاحكا :

" كنت في الجامعة فجاءني أحدهم يدافع عن نظرية التطور فقلت له : إذا أردت أن يكون جدك غوريلا أو شامبانزي فأعانك الله، أما أنا فجدي هو آدم عليه السلام".

ختم الشيخ درسه بدعاء طويل ثم شرع في استقبال أسئلة الحضور بينما همس أحمد في أذن سفيان :

- هناك موضوع أرغب في الحديث معك حوله.

انصرف الصديقان إلى الخارج، فبادر سفيان بالقول :

- ها نحن وحدنا، ما الموضوع الملح الذي ترغب في الحديث معي حوله ؟

تلعثم أحمد قليلا ثم قال :

- إن الموضوع يخص أختك زينب

قال سفيان بنبرة قلق :

- زينب ؟ ما بها ؟

أخرج أحمد من جيبه ورقة و ناوله إياها، أخذ سفيان الورقة و هو ينظر في عينيه ثم قرأها، فقال :

- إنها عبارة عن قصيدة، فما علاقتها بأختي زينب ؟

جنح أحمد للصمت قليلا و كأنه يرتب أفكاره ثم قال :

- بلا شك تعرف صديقة أختك بتول ؟ ...

قاطعه قائلا :

- نعم أعرفها.

استأنف أحمد الحديث قائلا :

- هي من أعطتني هذه القصيدة و أخبرتني أنها هدية من شاب إلى أختك زينب ..

عند سماعه ذلك، فتح سفيان الورقة مجددا و تفحصها بعينيه صامتا، فأكمل أحمد و هو يتأمله بنظرات ماكرة :

- يبدو أن أختك في علاقة مع هذا الشاب، و هذه القصيدة هي تغزل منه في أختك ..

عاد سفيان يتفحص الورقة و قد تبدلت ملامحه فقال غاضبا :

- أختي أنا يصفها شاب فيقول : جسدك أجمل منحوتة في تاريخ الفنون؟، قسما بجلال الله إن كان هذا الأمر صحيحا لأدفنها حية.

حاول أحمد السيطرة على الأمر قائلا :

- اهدأ قليلا، لا تكن سخيفا، إنها تظل أختك على كل حال، و واجبك هو حمايتها و إنقاذها من هذا الفاجر.

ضغط على الورقة بقبضة يده حتى كاد يمزقها لولا أن منعه أحمد و أخذها منه ثم قال :

- أقترح أن نخبر عمك بالموضوع.

*****

بعد أن قص عليه أحمد القصص تناول الشيخ الورقة ثم قرأ القصيدة بتمعن و هو يقول في كل مرة :

- أستغفر الله

ثم ظهرت معالم الغضب على أساريره حين قرأ اسم كاتبها :

- أيمن الخزرجي ؟

قال أحمد متعجبا :

- هل تعرفه ؟

أجاب الشيخ بنبرة حانقة :

- نعم، لقد كان تلميذا هنا قبل سنوات، إنه شاب ذكي، و يملك لسانا فصيحا، كنا نعقد عليه آمالا كبيرة داخل الجماعة من أجل نشر الدعوة، لكنه خذلنا و قد غادر دار القرآن بعد شجاره معي حيث ألقيت درسا حول الشعر و انتقدت بعض الشعراء الزنادقة، فغضب و ثارت ثائرته و ترك الدروس و لم يعد بعدها. إنه يقدس الشعر و يحلم مثلما يبدو أن يصبح شاعرا، لكن قريحته لم تجد إلا بهذه الزندقة و الفجور.

تفاجأ أحمد من كلام الشيخ ثم قال في حقد :

- يبدو أنه ارتد عن دينه بسبب حبه للشعر و الغزل الفاحش و إلا ما كان غادر هذه الدار الطيبة و هجر هذه المجالس التي تحفها الملائكة.

قاطعهما سفيان قائلا :

- لكن ماذا علينا أن نفعل يا عمي ؟ إن الموضوع متعلق بأختي، ماذا لو كان هذا الفاجر قد أغواها فوقعت في الحرام ؟

-5-

أخُلقتِ حقا من صلصال كالفخار

من حمإٍ مسنونٍ ؟

كم من عقود قضى الرب في نحت جسدك

كم من قرونٍ ؟

اسمحي لي أن أسجد له ألف سجدة

و أركع ألف ركعة

شكرا على إبداعه الموزونٍ :

عيناك كوكبان ..

ليس لهما مثيل بين جميع كواكب الكونٍ

حاجباك هلالان ..

إذا أشرقا يبتدئ عيدي

يداك حمامتان ..

أصير ملاكا إذا حطا على جيدي

شفتاك أشهى من التين و الزيتونٍ

نهداك كأسا خمرٍ

فخذاك ضفتا نهرٍ

فأين المفر ؟

من السكر .. من الجنونِ

ذات الساقين الفضيتين

جسدك أجمل منحوتة ..

في تاريـخ الفنونِ

صلّت زينب العشاء ثم استقلت في سريرها، فتحت الواتساب، كانت هناك رسالة من أيمن :

- مساء الورد حبيبتي

همّت بإجابته فسمعت جلبة لدى الباب، توقفت و أرهفت السمع قبل أن تفقد اهتمامها بالأمر و تركز مع هاتفها مرة أخرى، أجابت على رسالة أيمن قائلة :

- مساء النور حبيبي.

و قبل أن تبعث الرسالة وجدت باب الغرفة يفتح و تدلف إليها أمها و تقول بنبرة مضطربة يشوبها القلق :

- إن عمك هنا، و يرغب في الحديث إليك.

رجف قلبها و قالت :

- ماذا هناك يا أمي ؟

أجابت أمها بالنبرة المضطربة ذاتها :

- لا أعرف، قال أنه أمر عاجل.

ثم غادرت راجية منها أن تسرع بالمجيء، كاد قلبها يبلغ حنجرتها، أسرعت بمسح الرسالة دون أن تبعثها ثم مسحت كل رسائلها مع أيمن مثلما اعتادت أن تفعل، و خرجت إلى صالون البيت.

كان عمها يجلس في الوسط بقميصه الأبيض الذي يعلو كعبيه و بلحيته الطويلة و أبوها يجلس بجانبه بينما كان سفيان يقف عند رأس عمها بجسمه الضخم و ذراعيه القويتين، أما أمها فظلت واقفة قربها و

علامات الاضطراب واضحة على ملامحها، ثم تفرقع السؤال من بين شفتي عمها :

- من هو أيمن الخزرجي ؟

تسارعت أنفاسها و احمر وجهها حتى كادت وجنتاها تنفجران، تأملت وجوههم بدا لها و كأنها في محكمة فشعرت بالدوار، قبل أن ينطلق لسانها بالقول :

- لا أعرفه

ألقى عمها الورقة على الأرض ثم زمجر قائلا :

- إذا كنت لا تعرفينه، فلماذا يكتب لك رسائل الحب و الغرام ؟

ظلت تحدق في الورقة و جبينها يتصبب عرقا و قد ازداد وجهها احمرارا، تقدم سفيان و أخذ الورقة ثم قرأها بصوت مرتفع و عمها يقول في كل مرة :

- أستغفر الله العظيم

بينما شعرت هي و كأنها تقف أمامهم عارية الجسد و تمنت لو تنشق الأرض و تبلعها، تمتمت في نفسها : " يا رب، ما هذا الكابوس؟ "

أيقظها صوت أخيها من صدمتها صارخا :

- أجيبي يا ذات الساقين الفضيتين ؟ يا صاحبة الجسم المنحوت !

ثم أردف بالنبرة الغاضبة ذاتها :

- كيف جاز له وصفك هكذا؟ هل وقعت معه في الحرام ؟ هل رأى جسمك حتى يصفه بهذا الفحش ؟

ارتمت عند قدمي أبيها و قالت بصوت ممزوج بالدموع :

- أبي، أرجوك، والله لم أرتكب أي خطأ، لقد ظل يراودني عن نفسي و لكني لم أستجب له أقسم بالله يا أ...

فقاطعها بصفعة قوية زادت وجهها احمرارا، بينما دخلت أمها في نوبة بكاء دون أن تقول شيئا.

قال سفيان بلهجة آمرة :

- هاتِ هاتفك

تفحصه جيدا فلم يجد سوى أحاديثها مع صديقاتها، ألقى الهاتف أرضا فحملته بيدين مرتجفتين ثم حضنته كأنها غير مصدقة أنه قد عاد إليها. تبادلت النظرات مع أمها فصرخ فيهما والدها :

- اُغربا عن وجهي.

*****

و أخيرا انتهت هذه المحاكمة الأخلاقية، سقطت على وجهها فوق السرير و هي تبكي بحرقة، كان سؤال واحد يدور في رأسها : كيف وصلت تلك القصيدة إلى يد عمها و أخيها ؟، تمنت لو تعود فتأخذها و تتفحصها لكن لم يكن ذلك ممكنا.

ماذا تفعل الآن ؟

ليس باستطاعتها أن تخسر حبيب قلبها و لا أن تخسر أسرتها، لكن عليها الاختيار بينهما، فمن تختار؟، هل تختار أباها الذي أنعم عليها و كبرت في بيته؟ أم تختار حبيبها الذي ذاقت معه طعم السعادة للمرة الأولى في حياتها؟

سحقا للأقدار التي وضعتها في هذا الموقف، لماذا عليها أن تختار؟ ألم يكن ممكنا أن تعيش قصة حب جميلة مع من أحبه قلبها و في نفس الوقت تعيش في سعادة و هناء مع أسرتها ؟ لماذا يميل القدر إلى جعل حياتنا قصة درامية ؟

لا جدوى من هذه الأسئلة الآن، و لا فائدة ترجى من البكاء أو الندم، ليست تعرف مصيرها بعد محاكمة الشرف العائلية، لكنها على يقين أنها ستخسر الكثير، هل تنتظر الحكم كي تقرر ؟، توقفت عن البكاء ثم قالت في نفسها :

- هناك قرار واحد علي اتخاذه، قرار واحد لا ثاني له.

الفصل الثالث

-1-

كنت أعلم أن حبنا لن يدوما

كُتِب له عمر فراشة ..

لن يعيش سوى عشرين أو أربعين يوما

كنت أعلم أن قلبك أرنب جبان

لن يخوض هذه الحرب الملغومه

و أن حظي في الحب ..

منذ الأزل .. كان مشؤوما

كأنما قدري قد كتبه غراب

أو كتبته بومه

لا تعتذري ..

بعد أن أذقت قلبي الجحيما

ماذا يجدي لو اعتذر نيرون ..

ألف مرة لروما ؟

استلقى كقط منهك على فراشه، ثم تناول الهاتف بين يديه ، كان كل ما يهمه من الهاتف هو رسالتها على الواتساب، رغم أن للرسائل جميعها رنة واحدة لكنه كان يسمع رنة رسالتها بشكل مختلف، إن لها رنة فريدة فعلا أو هكذا خُيّل إليه، فتح الرسالة فتغير لون محياه و أخذ قلبه ينبض بسرعة و هو يقرأ ما كتبته :

" أيمن

أنا أموت و خلاصي بين يديك، أرجوك دعنا ننهي هذا العلاقة و نظل صديقين فقط، أرجوك اسمح لي أن أستعيد حياتي مثلما كانت، لقد صرت مثل غريغور سامسا مجرد حشرة حقيرة ينبذها أهلها.

أرجوك حبيبي – لآخر مرة سأقولها لك – حررني من هذه العلاقة، أعلم أن قراري سيجرحك و يؤلمك، لكن كن متيقنا أنني أكثر ألما منك، لم يعد بإمكاني التحمل، أنت لا فكرة لديك عن البيئة التي نشأت بها، حين أتذكر أني أمسكت يدك و سمحت لك بتقبيلي أتمنى أن يخسف الله بي الأرض أو يسلب ملاك الموت روحي، لذا أرجوك لنفترق، و حين تتخرج من

الجامعة و تبني مستقبلك، تعال لبيت أبي و لنتزوج على سنة الله و رسوله و هكذا نستطيع أن نكون معا أمام كل الناس ..."

ضرب قلبه زلزال بقوة تسع درجات على سلم ريشتر، لقد حدث ما كان يخشاه، لقد استسلمت مثلما توقع، ربما لم تحبه لدرجة أن تضحي لأجله، كان الأمر كله مجرد انبهار أو إعجاب أو شهوة عابرة، ألقى الهاتف بعيدا دون أن يجيب على رسالتها، شعر لحظتها أن سقف الغرفة يجثم على صدره وأنه يحتاج لفضاء أرحبَ، فارتدى ملابسه وخرج هائما على وجهه في شوارع المدينة.

******

كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة و النصف ليلا حين عاد إلى البيت، تأمله مصطفى كان يبدو مثل السكران تفوح منه رائحة السجائر، ظن مصطفى أنه دخن ألف سيجارة، استلقى في مكانه ثم أخرج سيجارة أخرى و أخذ يدخن بشراهة ، لم ينبس مصطفى بكلمة واحدة رغم تضايقه من الأمر. ظل أيمن يدخن سيجارة وراء أخرى، لم يكن قادرا على تجميع أفكاره، بل لم يكن يفكر أصلا، كان ملاذه الوحيد في كل أحزانه هو الشعر، لذلك كان لا بد لملاك الشعر أو شيطانه أن يوحي له بقصيدة تخفف عنه الألم، إن أكثر ما يذبحه الآن أنه لم يجب على رسالتها، لم يكن لديه ما يقوله، فليس هو من سيرجوها أن لا تتركه، ليس من عادته أن يتعلق بتلابيب أحد، كان كلما أدخل شخصا إلى حياته ترك خلفه الباب مفتوحا بحيث إذا أراد المغادرة يمكنه ذلك دون أن يمنعه أحد، لماذا طلبت إذنه بالخروج أصلا؟، غبية، كان بإمكانها الرحيل دون أن تجرح مشاعره بكلام سخيف.

استدار على جنبه الأيمن و السيجارة ما تزال بين شفتيه، و فجأة شعر و كأنه ارتفع عن الأرض، لم يعد يشعر بوجود شيء حوله، كان يعلم هذه الحالة جيدا، لذا مباشرة أخذ ينشد في نفسه و كأنه يخاطب شبحها :

" كل الظروف ضدنا "

تلك حجة سخيفهْ

حاربي قليلا .. صديقتي

مثل إلهة سومرية

مثل نبية شريفهْ

كشري عن أنيابك كلبؤة ..

ليس يناسبك دور القطة الأليفهْ

إنما الحب جهاد

" كل الظروف ضدنا"

تلك طرفة ظريفهْ

من أجلها تلقين بي إلى الجحيم

أيتها الغبية السخيفهْ

كيف أفر منك أنا ؟

و حبك يهدم قواعد قلبي

كقنبلة .. كقذيفهْ ..

كيف آخذ روحي بعيدا عنك ؟

كيف أفر منك ؟

إني سجين العيون القزحية اللون

و الابتسامة اللطيفهْ

-2-

استيقظ أيمن في السابعة إلا الربع، كان يشعر بألم في كليته و قد تضاعف الألم حين تذكر فراقه مع زينب و أن عليه أن يحزن مدة طويلة بسبب ذلك، و تذكر أيضا أنه كتب قصيدة بتلك المناسبة ففتح هاتفه و كتبها على المسودة فقام بنسخها ثم نشرها على صفحته بالفيسبوك، لم تمر سوى دقيقتين حتى وجد تعليقا عليها يقول : " قد يكون الحب ديانة حنيفة، لكن معظم أنبيائها كاذبون ".

كان صاحب التعليق هو : سعيدة فيروز، قال في نفسه حين قرأ الاسم :

- سعيدة فيروز؟

ثم أردف :

- لقد جاءت في الوقت المناسب

دخل على صفحتها ثم بعث لها رسالة تقول :

- هل يوجد في قلبك مقعد شاغر، يرتاح عليه عابر متعب ؟

ردت عليه قائلة بعد دقائق :

- إن كان العابر هو أنت فكل مقاعد قلبي شاغرة، كما أتمنى لو أنك تمكث بها للأبد.

ثم قال بلغة تقريرية بعيدا عن المجاز :

- هل يمكننا اللقاء ؟

ردت قائلة :

- أجل

قال مستعجلا :

- اليوم ؟

ردت عليه برسالة مليئة بعلامات الاستفهام، فاستدرك قائلا :

- نسيت أنك في آسفي، اقترحي يوما نلتقي فيه.

قالت :

- سأرى إن كان بإمكاني المجيء اليوم

أغلق هاتفه ثم فكر : " إنها معجبة بي كما قالت، لا بد أنها كانت تنتظر هذه الفرصة" فكتب له يقول :

- إن لم يكن اليوم، فلن يكون يوم آخر.

ثم أغلق هاتفه و قام ليغسل وجهه في المرحاض المشترك مع طلبة آخرين يكترون في غرف مجاورة له، و حين عاد إلى غرفته وجد مصطفى قد رجع، فألقى عليه التحية و حين لاحظ أنه يجمع أغراضه سأله قائلا :

- أين تريد؟

رد قائلا :

- هل نسيت أن اليوم السبت ؟ سأذهب إلى البيت، لقد اشتقت إلى أمي و أبي

قال أيمن متذكرا :

- آه اليوم السبت، لقد فقدت إحساسي بالوقت فعلا، أتمنى أن تصل بخير، بلغ سلامي لوالديك

ثم استطرد :

- و أين جمال ؟

رد مصطفى و هو يغادر :

- لقد ذهب البارحة

ثم أردف :

- مع السلامة، أراك غدا إن شاء الله

رد أيمن بصوت لا يكاد يسمع :

- إن شاء الله

ثم تفحص هاتفه فوجد أربع مكالمات فائتة، لم يعرف رقم المتصل، و لأنه لا يملك رصيدا أمسك هاتفه بين يديه و جلس ينتظر لعله يعاود الاتصال، لم يخب أمله إذ بعد وقت قصير رن هاتفه فأجاب قائلا :

- ألو، مرحبا

فجاءه صوت فتاة رخيم لم تخف عليه نبرته :

- مرحبا، هل أنت أيمن ؟

قال :

- نعم،

همّ أن يسأل : من معي؟ لكنه تردد ثم تذكر أنها فتاة فلا بأس أن يطرح هذا السؤال، فهو يعلم أنه بين الشباب ممنوع أن تطرح السؤال : من؟ أو أين؟، لأنه لا محالة سيأتيك جواب مهين لن ترغب في سماعه، تخلى عن تردده و سألها :

- من معي ؟

قالت :

- سعيدة، ألم تتذكر صوتي؟

رد مستغربا :

- سعيدة ؟ كيف حصلت على رقمي ؟

قالت ضاحكة :

- هل نسيت أنك تضعه ضمن معلومات الشخصية بالفيسبوك ؟

همّ أن يلعن الفيسبوك و مخترعه لكنه تذكر أن لولاه ما حظي بفرصة الحديث مع هذه الفتاة الجميلة، فقال متجاهلا ردها :

- هل قررت أن نلتقي اليوم ؟

قالت :

- اضطررت إلى تغيير برنامجي بالكامل

ثم أردفت :

- حين أصل إلى الجديدة سأتصل بك.

*****

تناول أيمن فطوره و الذي كان عبارة عن نصف خبزة بها بيضة مسلوقة و كأس شاي ثم توجه مباشرة إلى الحلاق، جلس ينتظر دوره و هو يتأمل وجهه المزين بلحية خفيفة أعفاها سابقا إرضاء لزينب التي دأبت على القول أنها تحب اللحية و تعتقد أنها زينة للرجال.

جاء دوره فقام و جلس على الكرسي ثم قال للحلاق و هو ينظر إلى وجهه :

- أريد حلق ذقني

ثم أغلق عينيه حين قفزت إلى عقله الكثير من الذكريات مع زينب كانت بطلتها لحيته.

غادر أيمن محل الحلاق بعد أن دفع له، فسار و هو يتحسس وجهه فوجده ناعما، كان حلقه للحيته أشبه بالثورة على حبه السابق، أشبه بالاحتجاج على قرار زينب، كأنه يقول لها : لم يعد لك دخل في حياتي، أنا اليوم حر منك و من ذكرياتي معك.

توجه إلى أحد المقاهي الذي كان يفضل الجلوس فيه، طلب قهوة سوداء من دون سكر، ثم ابتاع سجارتين من النادل و أخذ يرتشف القهوة و يدخن في شراهة و هو يستمع إلى كاظم الساهر عبر السماعات :

" و أخيرا اكتشفت إني ..

باسم الحب : أنا لعبه

و كل العشرة و الإخلاص

و كل التضحية كذبه "

-3-

آسفي، الحي الراقي ABC

كانت الساعة تشير إلى التاسعة صباحا و خمس دقائق، جهزت الخادمة فطور الصباح ثم أخذت تصرخ بصوتها المزعج :

- سعيدة ؟ ألم تستيقظي بعد ؟

ثم صرخت بصوت أعلى :

- سعيدة ؟، هيا استيقظي أيتها الكسولة

لم تعد قادرة على تحمل صوت الخادمة المزعج أكثر، فنهضت كارهة ثم سارت بخطوات متثاقلة نحو المرحاض، غسلت وجهها ثم دلفت إلى المطبخ فوجدت الخادمة قد أعدت الفطور، حدقت فيها بعينين ناعستين، كانت امرأة قصيرة بدينة، تبلغ حوالي الأربعين من عمرها، قالت سعيدة :

- يا لك من امرأة مزعجة

ابتسمت ثم قالت :

- إن لديك مدرسة، و عليك أن تستيقظي

ثم أردفت :

- لقد جهزت الفطور، و سلقت لك البيض مثلما تحبين

تأملت سعيدة الفطور ثم قالت متسائلة :

- أين خديجة و إخوتي ؟

ردت الخادمة و هي تغسل بعض الأواني :

- خرجوا في نزهة صباحية مثل كل يوم سبت

أومأت برأسها و زمت شفتيها دون أن تقول شيئا، ثم تقدمت نحو طاولة الفطور و خصصت خمس دقائق من وقتها لتناوله، قبل أن تغسل و تغير ملابسها و تحمل حقيبتها و تخرج مودعة الخادمة.

كانت تقضي معظم وقتها خارج البيت، إما في المدرسة أو في المقهى أو في التسكع أحيانا وحدها أو مع بعض أصدقائها، رغم ذلك كانت مجدة في دراستها و قد حصلت على نقط جيدة في الدورة الأولى من هذه السنة الدراسية، و تأمل أن تحصل على شهادة البكالوريا بميزة مشرفة، عمرها الآن تسعة عشر عاما، رغم أنها لم يسبق لها أن كررت لكنها تأخرت بعام في سنوات دراستها بفعل انتقالها من إيطاليا إلى المغرب.

ولدت سعيدة بمدينة روما في إيطاليا من أب يشتغل كرجل أعمال و أم كانت تدرس اللغة العربية بإحدى المعاهد بروما، لم تلتق سعيدة بأمها يوما إذ توفيت أثناء ولادتها و هذا ما جعل أباها يشعر أنها السبب في وفاة أمها، رغم أنه لم يحرمها يوما من شيء لكنها كانت تشعر ببرود شديد في معاملته معها و تدرك جيدا السبب و لو أنه لم يصرح به .

بعد وفاة أمها بعامين تزوج والدها و مكث عشر سنوات في إيطاليا قبل أن يؤسس شركته الخاصة في المغرب و يقرر العودة إليه، كانت سعيدة حينها تدرس بالسنة الرابعة، لكن حين عادت للمغرب لم يسمحوا لها بالانتقال للسنة الخامسة مباشرة بل فرضوا عليها تكرار السنة الرابعة، و بذلك ضيعت سنة من سنوات دراستها.

كبرت سعيدة في كنف زوجة أبيها و التي كانت علاقتها بها عادية، إذ لم تسئ معاملتها و لا أحسنتها، كانت تشعر أنها مجرد امرأة عابرة في حياتها لذلك لم تجد سببا أن تناديها أمي بل اكتفت بمناداته باسمها : خديجة، و لم تعلق خديجة بدورها على ذلك فهي تعلم أنها ليست أمها، كما أنها غير مضطرة لمناداتها بأمي، بيد أن علاقتها بأخويها كانت جيدة فهي تكن لهما كل الحب.

لم يكن القدر قاسيا معها في كل شيء، إذ أنها نشأت في أسرة ثرية، و عاشت طفولتها في إيطاليا، كما أمضت مراهقتها في أرقى الأحياء بمدينة آسفي، و قد كانت تجد كل هذا نعمة من الله وجب عليها أن تشكره لأجلها.

تعشق سعيدة الغناء إذ حباها الله صوتا ملائكيا رائعا يأسر كل من يسمعه، و قد شاركت في الكثير من المسابقات و الأنشطة الفنية، منها مسابقة دكالة للشعر و التي التقت فيها لأول مرة بشاب أسر قلبها و سكنت كلماته وجدانها، و صارت تحرص كل يوم على زيارة صفحته على الفيسبوك لتقرأ ما يكتبه.

فتحت هاتفها ثم دخلت على صفحته، كان قد نشر قصيدة جديدة وقع تحتها باسمه : أيمن الخزرجي، أعادت قراءتها ثلاث مرات ثم كتبت له تعليقا، كانت غايتها من التعليق أن تذكره بوجودها، لعله يبعث لها رسالة، و قد تحقق رجاؤها حين جاءتها رسالة منه يرجو فيها أن يلتقيا.

أغلقت هاتفها و جلست تفكر :

- هل أذهب للقائه اليوم ؟، كيف يمكنني ذلك ؟

فتشت جيبها فوجدت 70 درهم، قالت :

- يجب أن أذهب للبنك و أسحب النقود إن أردت الذهاب إلى الجديدة

كانت قد حسمت قرارها فعلا، و لم يكن بإمكان أحد أن يجعلها تعدل عنه، اتصلت بالخادمة و قالت لها :

- حين يعود أبي أخبريه أني ذهبت إلى الجديدة

لم يكن أبوها يهتم أين تذهب أو مع من تذهب، و لا في أي ساعة تدخل أو تخرج من البيت.

ذات ليلة عادت حتى الثانية فجرا، كان أبوها يقف بالخارج ينتظر عودتها، و فجأة توقفت سيارة أجرة قربه، فنزلت منها، كانت ثملة تتمايل في مشيتها كأن ريحا قوية تهب على جسدها، دفع أبوها أجرة السائق ثم أسند جسدها المتعب على جسده و أخذها للداخل، فقالت له بصوت متقطع و رائحة الخمر تفوح من فمها :

- إنها أول مرة تهتم بي و تسندني يا أبي

ثم أردفت :

- هل ستظل تحملني إن علمت أني قد دنست شرفك ؟

توقف قليلا ثم واصل سيره، فقالت :

- لقد فقدت بكارتي قبل شهرين

شعرت بأنفاسه قد بدأت تتسارع، بيد أنه لم يعلق بشيء، أوصلها إلى غرفتها، ثم رماها فوق السرير و قال :

- إن عمرك الآن 18 سنة يمكن أن تفعلي ما تشائين

ثم أطفأ الأنوار و غادر، و حين قابلها صباحا عند مائدة الإفطار قال :

- إن لديك حسابا في البنك، لا تحتسي مرة أخرى شرابا رخيصا

ظلت تحدق به و هو يغادر ثم ابتسمت، كانت ابتسامة دهشة إذ أنه لم ينهها عن احتساء الخمر، بل لم يقل شيئا حول ممارستها الجنس و فقدان بكارتها.

تذكر سعيدة ذلك اليوم فتبتسم ثم تعتريها مشاعر حزن، لطالما شعرت أنها في حاجة لمن ينصحها، لمن تشعر أنه فعلا يحميها، و تتأسف بشدة لأن والدها لم يكن ذلك الشخص.

ضحت بالدراسة ذلك اليوم و توجهت إلى البنك فسحبت 600 درهم ثم اتصلت بأيمن و ركبت الحافلة المتوجهة نحو الجديدة.

-4-

كانت الساعة تشير إلى الثانية بعد الزوال و ثلاث عشرة دقيقة حين رن هاتف أيمن فظهر رقم سعيدة ،أجاب قائلا :

- مرحبا

قالت :

- مرحبا بك، أنا الآن في محطة الجديدة

قال في نبرة سعيدة :

- خبر جميل، استقلّي سيارة أجرة و اطلبي من السائق أن يأخذك إلى مقهى الياسمين.

بعد عشرين دقيقة تقريبا وقفت سيارة أجرة أمام مقهى الياسمين، و بعد لحظات وجدها تصعد درج المقهى ثم تجلى وجهها أمامه، كانت أشد فتنة من الصورة التي احتفظ بها عنها من يوم المسابقة، و قف ليسلم عليها، كانت أقصر منه بحوالي خمس سنتمترات فقط، مد يده ليصافحها لكنها اقتربت منه و سلمت عليه وجها لوجه، ثم قعدا متقابلين، ظل يتأمل وجهها غير مصدق أنها أمامه الآن ثم نبض قلبه بسرعة حين ابتسمت له دون أن تقول شيئا.

كان قد أطفأ سيجارته الأولى، فأخرج الثانية ثم قال مستدركا :

- ماذا تشربين ؟

قالت :

- لا أود شرب شيء

ثم أضافت :

- يكفيني النظر إليك

أطرق مبتسما ثم أشعل سيجارته و صار يدخن بينما كانت تتأمله، قبل أن تنادي على النادل أن تعال، فانتصب واقفا أمامها، قالت له :

- أعطني سيجارة من فضلك

أخرج النادل علبة السجائر و أعطاها واحدة فوضعتها في فمها ثم طلبت منه إشعالها، نفذ ما طلبته ثم انصرف، بينما ظلت هي تدخن في شراهة.

أطفأ أيمن سيجارته و أخذ يتأملها ثم قال :

- إن منظرك الجميل و أنت تدخنين يفني قلبي مع تلك السيجارة

ابتسمت ثم قالت بصوت خافت :

- إنك رجل محظوظ إذا أفنى قلبك الجمال

قال مازحا :

- جلست معي دقيقتين فأصبحت شاعرة

ابتسمت ثم تناولت كوب القهوة من أمامه و ارتشفت قليلا، فقال :

- لو شئت طلبت لك كوبا

قالت رافضة :

- لا أرغب به، شكرا.

أخذ الكوب بين ثم يديه ثم وضع فمه من حيث شربت هي، فشرب قليلا و قال :

- هل تعلمين أني لا أعرف عنك إلى الآن سوى الاسم ؟

قالت :

- و تعرف أيضا أني أقطن بآسفي

رد قائلا :

- نعم، و على فكرة أنا أحب مدينة آسفي و أحب العيطة العبدية

و أردف :

- كما أؤكد لك أن البئر ملك لدكالة و ليس عبدة

ضحكت بصوت عال و قالت :

- لقد تنازلت لك عن حصتي فيه

ساد بينهما صمت، قبل أن تكسره قائلة :

- و ماذا تريد أن تعرف عني ؟

قال في حماس :

- كل شيء

قصت عليه قصتها كاملة و هو يصغي إليها باهتمام، بدت عليها علامات الحزن و هي تحكي، قبل أن تتغير تعابير وجهها حين قالت :

- على كل حال، سأعود إلى إيطاليا هذا الصيف

نظر إليها في استغراب و كأنه لم يكن يرغب في سماع ذلك و قال :

- و لماذا ؟

قالت موضحة :

- اقترح علي أحد أخوالي أن أكمل دراستي هناك، كما أنني أعتقد أن العيش هنا لا يناسبني، انظر حولك الآن و سترى كيف ينظر إلي الناس باشمئزاز، لا ريب أن معظمهم يعتبرونني عاهرة

أومأ برأسه موافقا و قال :

- صدقت، لكن الهروب ليس حلا

ثم أردف :

- لكن يبقى لك حق تقرير مصيرك و طبعا سأتمنى لك حظا موفقا رغم أني كنت أرغب أن تظلي هنا أكثر

قالت :

- هل وقعت في حبي بهذه السرعة حتى أصبحت ترغب في بقائي معك ؟

قال :

- رغبتي في بقائك معي لا تستلزم أن أحبك

قالت في إحباط :

- إذن لا تحبني

حدق فيها دون أن يقول شيئا، فأضافت :

- أنا أيضا أرغب في البقاء معك، لكني سئمت العيش هنا، لا يمكنني أن أظل في مجتمع يراني عورة و ناقصة عقل، و يصادر حقي في العيش مثلما أريد فقط لأنني أحمل بين فخذي فرجا

أومأ برأسه موافقا و قال :

- أعلم أنه أمر متعب أن تولدي أنثى في مجتمع رجعي مثل هذا

تبادلا أطراف الحديث ساعة، فقال:

- يبدو أن عليك أن لا تتأخري أكثر فما زال أمامك سفر طويل للعودة إلى آسفي

قالت في احتجاج :

- و من قال أني سأعود اليوم ؟

قال مستغربا :

- هل تفكرين في البقاء هذه الليلة ؟

قالت و هي تغمزه :

- ألا ترغب في ذلك ؟

قال :

- بلى، إني أشد رغبة فيك من رغبة امرأة العزيز في يوسف

ضحكت بصوت مرتفع حتى التفت إليها معظم من في المقهى، ثم قالت له بصوت منخفض :

- ألن تحكي لي قصة حياتك ؟

-5-

نهداك حمامتان ..

تبتهج روحي ..

إذا حطا على صدري أو طارا

تذبل جروحي

إذا انتشر هديلهما حولي انتشارا

نهداك جهنمان ..

أبجلهما .. أقبلهما ..

أصلي لهما ليلا و نهارا

غفر الرب خطيئاتي ..

كيف صرت أنا أعبد النارا ؟

نهداك كأسا خمر ..

إذا سكبتهما صار ..

كل الناس سكارى

كل الناس سكارى

كانت الساعة تشير إلى السابعة و سبع و ثلاثين دقيقة حين أوقف أيمن سيارة أجرة أمام مقهى الياسمين ثم صعد برفقة سعيدة و طلب من السائق أخذه إلى حي سيدي موسى.

نزل بعيدا عن البيت الذي يكتريه، فهو يعلم أن في المغرب إذا أردت أن تدعو صديقتك إلى البيت فعليك أن تنتظر حتى يسدل الليل ستاره و أن تدخلا إلى الحي مفترقين حتى لا يدرك أحد أنكما معا.

التفت إلى سعيدة و قال مبتسما :

- هل تعلمين أنه في هذا البلد من السهل جدا أن تُدخل الكوكايين أو المتفجرات إلى بيتك، لكن من السعير جدا أن تدعو فتاة إليه ؟

تبسمت دون أن تقول شيئا، فأخرج من جيبه مفتاحا و أعطاه لها، و قال :

- سأمشي أمامك الآن على أن تسيري أنت خلفي، و أمام البيت الذي سأنحني أمامه لأحزم حذائي ستدخلين، و في الطابق السفلي ستجدين بابا مصبوغا بالأزرق مكتوب عليه حرف x كبير بالأبيض، استطلعي المكان جيدا ثم افتحي الباب و ادخلي و أغلقيه بالمفتاح و انزعيه، و لا تفتحي أبدا لأي طارق، و أنا سأكمل طريقي إلى الدكان، سأحضر بعض الأشياء و ألحق بك.

أومأت برأسها ثم قالت :

- حسنا

نجحت الخطة التي رسمها أيمن، و حين فتح الباب و دخل وجدها جالسة في ركن الغرفة، ابتسم ثم أغلق الباب خلفه وضع الأشياء التي اشتراها قرب قنينة الغاز ثم ذهب و جلس قربها و قال :

- كيف عرفت أن هذا مكاني ؟

قالت :

- لأن منه يفوح العطر الذي تضعه

قال :

- فهمت

تفحصت الغرفة بعينيها و قالت :

- هل دعوت حبيبتك السابقة إلى هنا ؟

تفاجأ من سؤالها ثم قال مصطنعا الهدوء :

- وددت ذلك

فقالت مستنتجة :

- إذن لم تدعها

ثم أردفت متسائلة :

- أي نوع من الفتيات كانت ؟

قال بنبرة ساخرة :

- من النوع الذي يعتقد أن سماع أغاني ماهر زين يضاعف حسناتها

ضحكت بصوت مرتفع فأشار إليها أن تخفضه، ثم قال :

- ولكنها كانت فتاة طيبة و لي معها ذكريات جميلة

صمتت قليلا ثم قالت و هي تنظر إليه :

- لا تهمني ذكرياتك معها، بل الذكريات التي سنصنعها معا

رد قائلا :

- و أي نوع من الذكريات تريدين ؟

ظلت تتأمل وجهه ثم اقتربت منه و طبعت خده بقبلة، ثم نزعت قميصها فظهرت حمالات صدرها، كانت سوداء يرفعها نهداها قليلا، اقتربت منه ثانية و قبلت فمه، فمرر يده على نهديها برفق و أخذ يقبلها بكل عنف و شهوة.

كانت آهاتهما تملأ الغرفة مثل موسيقى هادئة و حزينة، كان مستلقيا على ظهره و هو عارٍ تماما، بينما كانت هي فوقه يهتز جسمها الأسمر العاري متلذذا، قبل أن تتسارع وثيرة آهاتهما و تنهار فوقه كمن أصابته رصاصة في صدره.

قالت و هي تقبل فمه :

- كان ذلك رائعا

أومأ برأسه موافقا، ثم قال و هو يبادلها قبلة أخرى :

- هل أُعْجِبُك ؟

قالت مستغربة :

- ماذا؟، و لماذا أضاجعك الآن في رأيك ؟

قال ببرود :

- لا أدري

قالت في نبرة يشوبها الغضب :

- وحدها العاهرة من لا تهتم بشكل أو شخصية شريكها

ثم قامت و سارت نحو قنينة الغاز لتحضر الولاعة، بينما كان هو يتأمل أردافها التي ترتفع و تنخفض بشكل متناسق كأنها تتبع تعليمات مايسترو، ثم استدارت فرفع بصره إلى نهديها، كانا ناضجين كفاكهتين شهيتين.

جلست قربه ثم أشعلت سيجارة و أخذت تدخن في شراهة، بينما ظل هو يتأملها في صمت فقال في نفسه :

- ليتك كنت زينب

-6-

أفاق أيمن من نومه متأخرا، كان رأسه يؤلمه بشدة كأنه اصطدم بجدار صلب، راقب الساعة فوجدها العاشرة و النصف، حوّل بصره إلى جسمه فوجده عاريا تماما، تذكر سعيدة فسبح ببصره في كل الغرفة فلم يجد لها أثرا، انتصب واقفا و ارتدى ملابسه، شعر و كأنه كان في حلم جميل، همّ أن يلعن من أيقظه من حلمه فتذكر أنه وحده في الغرفة، ظهرت له ورقة فوق المخدة التي كانت تنام عليها سعيدة، اقترب منها ثم تناولها بين يديه و قرأها :

" عزيزي أيمن

لقد كانت ليلة لذيذة، مليئة بالمتعة، أشكرك من أعماق قلبي على كل شيء

اذكرني دائما

سعيدة"

فتح هاتفه و ركب رقمها، فردت عليها بعد ثوان :

- ألو

سألها مستغربا :

- هل هذه رسالة وداع ؟

قالت :

- لا، بل رسالة شكر

قال متسائلا :

- لماذا رحلت ؟

ردت ببرود :

- كنت مضطرة

ثم أردفت :

- و أظن أيضا أني غير مضطرة أن أبرر لك أفعالي

قال نافيا :

- لم أزعم أنك مضطرة لفعل ذلك

ردت قائلة :

- هل تعلم لماذا لست مرتبطة ؟ و أرفض هذه الفكرة بشدة ؟ ببساطة لأنني لا أرغب أن أبرر لأحد لماذا وضعت إعجابا على صورة أحد أصدقائي بالفيسبوك أو لماذا ألقيت التحية على جاري !

ثم أضافت بعد هنيهة :

- الارتباط في بلادنا هو أن يصبح لديك شخص تبرر له كل أفعالك و تخبره حتى بمواعيد دخولك إلى المرحاض.

أردفت بنبرة جازمة :

- لا أرغب في ذلك

تجاهل كل ما قالته و قال :

- وددت لو بقيت أكثر

قالت :

- لقد تركت لك الذكريات التي أريد و هذا ما يهمني

قال :

- تعتقدين أني لن أذكر عنك سوى أنك ضاجعتني، أنت واهمة

ثم استطرد :

- هل سنلتقي مرة أخرى ؟

صمتت قليلا ثم قالت :

- أتمنى ذلك

ثم أقفلت الخط دون أن تودعه.

الفصل الرابع

-1-

الجديدة

ماي 2016

كان الجو حارا جدا أواسط شهر ماي، كان أيمن يجلس حيث يكتري و معه مصطفى، فاقترح عليه هذا الأخير أن يرافقه إلى الكلية، فرد أيمن قائلا :

- أنا أيضا أود الذهاب، لدي موعد هناك.

مشى أيمن الهوينى إلى جانب صديقه و هما يركبان صهوة الحديث حتى يقطعا طريقهما، فإذا بامرأة عجوز و قد غاب نصفها العلوي في قمامة بحثا عن قوت يومها و بقربها حمار هزيل يقف مرتخي الأذنين و على ظهره رحل مهترئ، فقال مصطفى في غضب :

- إن هذا لمنكر

قال أيمن في نفسه :

- إنه فعلا أمر منكر أن يأكل الناس من القمامة

فاستطرد مصطفى قائلا :

- يا أخي هؤلاء الفتيات لم يعد لديهن أخلاق و لا حياء، لا ريب أنهن سيمشين عاريات في الشوارع مستقبلا، كل غايتهن فتنة الشباب، لعنة الله عليهن ...

نظر أيمن إلى صديقه مندهشا ثم ألقى ببصره باحثا عما يتحدث عنه، فرأى فتاة ترتدي تنورة قصيرة تكشف عن سيقان كالفضة، ثم أرجع بصره إلى صديقه كرة أخرى فتأمله و هو يشتم منتفخ الأوداج، ترتفع لحيته المرسلة كمكنسة و تنخفض حتى خيل لأيمن أنه قد تطور من سلالة جديان، ثم قاطعه :

- لماذا تفترضون دائما أن هؤلاء الفتيات يتزين لأجلكم، من أنتم أصلا؟، لستم تملكون أي شيء مثير ..

و بينما أيمن يعاتب صديقه السلفي إذ به يلمح تلك الفتاة تتقدم نحو العجوز التي تأكل من القمامة و تعطيها ورقة نقدية رمادية رجح أيمن أنها مئة درهم، فتناولتها العجوز و علامات الفرح بادية على أساريرها و لا ريب أنها صلت لأجلها كثيرا، فالتفت لصديقه و قال :

- ذكرني بآخر مرة أنفقت فيها درهما على محتاج

فقال و هو يداعب لحيته :

- لا فرق بين العاصي و الكافر يا صديقي، كلاهما لا تقبل صدقاتهما، و مثل هذه الفتاة كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل ..

ابتسم أيمن و قال :

- هي على الأقل أصابها وابل فغسل ترابها، أما أنت فلم يزل التراب يتراكم عليك مذ وجدت.

-2-

افترق أيمن عن مصطفى حين وصلا للكلية، إذ توجه مصطفى إلى أحد المدرجات الذي يحمل اسم : البيروني، حيث كانت لديه محاضرة في الكيمياء العضوية، بينما توجه أيمن إلى مكتبة الكلية راغبا في المراجعة مع أحد أصدقائه، ولج المكتبة، كانت تضج بالطلبة و تفوح منها روائح العرق و الأحذية، تسمر في مكانه حين لمحها تجلس في الركن يشع وجهها الأبيض نورا كمصباح، تذكر قوله لها ذات مرة و هو يتأملها :

- لم يتبق لك سوى 3 فولط و يضيء وجهك.

كانت تتحدث إلى شاب يجلس أمامها يرتدي قميصا أبيضا و يعفي لحيته، ظل أيمن جامدا كتمثال يراقبهما، قبل أن ينهض ذلك الشاب و يتقدم نحوه مغادرا المكتبة، كان شابا طويلا حسن الوجه، فاحت من ثيابه روائح المسك حين مر بقربه، شعر أيمن لحظتها برغبة شديدة في الحديث إليها فتقدم نحوها في حذر، ثم انتصب أمامها واقفا، و قال بصوت منخفض :

- زينب

رفعت رأسها غير مصدقة، و بدت عليها علامات الاضطراب و احمرّ وجهها خجلا، ثم قالت :

- أيمن، ماذا تفعل هنا ؟

قال :

- جئت لألقي التحية

ثم أردف :

- هل صار وجودي يزعجك إلى هذا الحد ؟

أجابت فورا :

- نعم يزعجني، لذلك من فضلك، ارحل !

أومأ برأسه ثم قال :

- أظن أنك خشيت أن يرانا ذلك الشاب الملتحي معا ؟

ظلت تحدق به دون أن تجيب، فجلس أمامها رغبة في استفزازها، فقالت في ضيق صدر :

- أيمن، أرجوك غادر الآن

قال متجاهلا طلبها :

- هل هذا الشاب هو حبيبك الجديد ؟

قالت في غضب :

- ليس لدي أي حبيب، لقد اكتفيت من الحب و من كل هذا الكلام الفارغ.

و استطردت :

- و الآن أرجوك دعني و شأني.

ضرب الطاولة بيده في غضب فالتفت إليه معظم الطلبة الجالسين قربهما، ثم قال بعد أن فقدوا اهتمامهم بهما :

- هل تعتقدين أنني مجرد دمية ؟ هل تظنين أن بإمكانك التلاعب و التحكم بي ؟

صمت ثم أردف :

- أنت مخطئة جدا

انتصب واقفا و قال :

- لم آتِ إليك لأني أحبك، بل لأني أشعر بمقت شديد اتجاهك .

احمرّ وجهها غضبا لكنها لم تقل شيئا، فاستدار مغادرا قبل أن يعود إليها و يقول بنبرة غاضبة :

- لم أعد أحبك، كوني متأكدة من ذلك، هل تعتقدين أنك أهم شيء في حياتي ؟، أخطأت، هناك أشياء كثيرة أهم منك و أهم من حبك، مثل قراءة كتاب يتحدث عن الحضارة السومرية أو الحروب الصليبية، أو مشاهدة مباراة في كرة القدم يلعب فيها نيمار، أو مشاهدة فلم هندي من بطولة سلمان خان أو عامر خان، بل إن مشاهدة فلم إباحي تلعب فيه مية خليفة أهم منك و من التفكير فيك.

قال ذلك بسرعة و بشكل متسلسل و كأنه كان يحفظه عن ظهر قلب ثم غادر و معالم الغضب بادية على أساريره، نسي لماذا أتى إلى الكلية و لم يتوقف حتى الباب، فسمع صوتا يناديه من خلفه :

- أيمن، انتظر !

كان صوت فتاة، استدار فوجدها تنتصب أمامه، كانت فتاة فارعة الطول، بيضاء البشرة، ترتدي حجابا أسودا زاد وجهها بياضا، قالت :

- أظنك تعرفني، أنا بتول صديقة زينب

قال في ضيق صدر :

- نعم، ماذا تريدين ؟

قالت :

- هناك أمر مهم يجب أن تعرفه عن زينب

قال في عدم اكتراث :

- ما هو ؟

قالت :

- لا بد أنك رأيت ذلك الشاب برفقتها، إنه ليس طالبا، بل أستاذ مادة التربية الإسلامية بثانوية الإمام البخاري بالبئر الجديد.

جذب الكلام اهتمامه فقال :

- و ماذا يفعل برفقتها ؟

قالت :

- إنه خطيبها، سيتزوجان هذا الصيف.

شعر أيمن أن الزمن قد توقف و أن أقدامه لم تعد قادرة على حمله، كأن وزنه تضاعف ألف مرة، ثم غمغم :

- سيتزوجان ؟

قالت بنبرة جازمة :

- نعم

تساءل في استغراب :

- كيف لها أن توافق؟، و كيف تزوجت بعد هذا الوقت القصير ؟

قالت مدافعة عنها :

- لقد أجبروها، لا ذنب لها، هناك الكثير الذي لا تعرفه أنت.

قال في غضب :

- ماذا علي أن أعرف؟ ليس هناك أحد يتزوج دون إرادته كل ذلك تبرير سخيف

فردت قائلة :

- أيمن، إنك ...

قاطعها قائلا :

- شكرا لإخباري

ثم استدار مغادرا، قبل أن توقفه قائلة :

- لقد علم أهلها بعلاقتكما

توقف، ثم التفت إليها و قال و هو يقترب منها :

- كيف علموا بذلك ؟

قالت :

- إنها قصة طويلة

ثم أردفت :

- عمها هو من أجبرها على الزواج من ذلك الشاب

قال محتجا :

- و ما دخل عمها في الموضوع ؟؟

قالت موضحة :

- إنه الآمر و الناهي في عائلتها، إنه شيخ و إمام مسجد معروف في البئر الجديد يدعى "أبو عبد الرحمان"

قال في ذهول :

- أبو عبد الرحمان ؟ هل ذلك الرجل عم زينب ؟؟

قالت :

- نعم، هل تعرفه ؟

كوّم يده و ضاق بؤبؤ عينه ثم قال منصرفا :

- ذلك الحقير

غادر مهرولا، بينما ظلت هي تصرخ وراء ظهره دون أن يعيرها أدنى اهتمام.

-3-

ركب أيمن التاكسي المتوجه إلى البئر الجديد، كان لا يرى أمامه إلا وجه الشيخ "أبو عبد الرحمان"، كما كان يعلم أن اليوم هو السبت حيث سيلقي درسا دينيا في دار القرآن.

بلغ البئر الجديد عند الواحدة و النصف زوالا، و قضى يومه منتظرا بمقهى قريب من دار القرآن، مر عليه الوقت بسرعة سلحفاة و شعر أنه مكث ألف سنة بالمقهى، ثم انفرجت أساريره حين رُفع أذان صلاة المغرب حيث كان الدرس يلقى مباشرة بعد أدائها، لم ينس ذلك، و كيف ينسى و قد قضى شهورا بدار القرآن في سالف الزمان ؟

انقضت صلاة المغرب و توجه الكثير من المصلين إلى دار القرآن حتى امتلأت عن آخرها، و جلس أيمن مسندا ظهره إلى الجدار و هو يتأمل كل الزوايا فقفزت إلى عقله عشرات الذكريات جعلته يبتسم، بعد دقائق وزعوا عليهم مطويات كان موضوعها : الملل .. آفة العصر، فتناول المطوية بين يديه و أخذ في قراءتها منتظرا قدوم الشيخ و الذي لم يمهله وقتا ليكملها فدلف و ألقى التحية قائلا :

- السلام عليكم

رد عليه الجميع، ما عدا أيمن، :

- و عليكم السلام و رحمة الله

أخذ مكانه بين يدي الحضور ثم استهل الدرس قائلا :

- إن الحمد لله، نحمده و نستعينه و نستغفره، و نعود بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من

يضلل فلا هادي له، و من يطع الله و رسوله فقد رشد و اهتدى و من يعص الله و رسوله فقد ظلم و اعتدى، و ما يضر إلا نفسه و لا يضر أحدا، و أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن سيدنا و نبينا و حبيبنا و شفيعنا محمدا عبده و رسوله صلى الله تعالى عليه و على آله و صحبه و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين و سلم تسليما كثيرا، أما بعد : أيها المؤمنون الصالحون، فموضوع درسنا اليوم بإذنه تعالى : تسوية الصفوف في الصلاة و صلاة الفرد خلف الصف.

ثم كررها بنبرة يشوبها التأكيد :

- تسوية الصفوف في الصلاة و صلاة الفرد خلف الصف.

فعلق أيمن هازئا على مقدمته التي يكررها في كل دروسه و خطبه :

- فعلا، إن الملل آفة العصر.

بينما استرسل الشيخ في درسه الذي دام ثلاثين دقيقة تقريبا، قبل أن يفتح المجال للأسئلة، كانت معظم أسئلة الحضور تصب في موضوع الدرس، ثم أخذ أيمن الكلمة و انتصب واقفا فحدق فيه الشيخ في ذهول و كأنه رأى عفريتا من الجن، قال أيمن و هو يرمقه بنظرة فيها ازدراء و احتقار :

- فضيلة الشيخ، روى ابن ماجة عن ابن عباس أنه قال : جاء رجل إلى النبي فقال : " إن عندنا يتيمة و قد خطبها رجل معدم و رجل موسر و هي تهوى المعدم و نحن نهوى الموسر" فقال النبي : " زوجوها من تحب، فلم يُر للمتحابين مثل الزواج"، و إني أسألك يا

شيخ : ما حكم من أجبر فتاة على الزواج من رجل لا تحبه و قلبها متعلق بآخر ؟

تعجب الحضور من هذا السؤال الغريب، بينما ظل الشيخ يحدق به دون أن ينبس بكلمة، فصرخ أيمن غاضبا :

- أجب

ازداد الحضور استغرابا و حيرة من هذا الشاب الذي يتجرأ على الصراخ في وجه الشيخ "أبو عبد الرحمان"، فقال أيمن بصوت أعنف حتى شعر الحضور أن سقف دار القرآن سيخر عليهم من فوقهم :

- أجب أيها المهرج اللعين.

قامت القيامة بدار القرآن و ارتفعت الأصوات بين من يسب أيمن و من ينهاه بأدب و رفق، و أمسك به شاب طالبا منه الانصراف و محذرا إياه من عواقب فعلته، لكنه توقف و أخذ يزمجر كأسد في برية جامحة :

- إن زينب تحبني أنا ، حتى و إن أجبرتم جسدها على الزواج من رجل غيري ستظل روحها زوجتي للأبد، للأبد أيها المهرج اللعين.

دفعه ذلك الشاب إلى الخارج قائلا :

- لا يصح قول هذا الكلام هنا يا أخي

أُخرج أيمن، في حين ظل الشيخ جامدا في مكانه و يقول بصوت مسموع :

- لا حول و لا قوة إلا بالله، لا حول و لا قوة إلا بالله ..

ثم نادى سفيان و همس في أذنه :

- أخرج الحضور ثم التحق بي، لدينا لقاء مع الجماعة الليلة.

و أردف و هو يراقب الحضور حوله :

- أخبرهم أني لن أصلي العشاء بالمسجد

غادر أيمن دار القرآن و قد شعر أن قلبه انشرح قليلا، بيد أنه في قرارة نفسه لم يستطع أن يغفر لزينب أو أن يلتمس لها عذرا إذ يعتقد أنه كان بإمكانها الرفض و العصيان أو على الأقل إخباره بالأمر.

أخذ تاكسي ثم قفل راجعا إلى الجديدة، أخرج هاتفه ثم ولج تطبيق الواتساب، بحث عن حسابها، كان يشعر أن كل شيء بينهما قد انهار فعلا، لذلك قرر أن يبادر بإشعارها أنه أيضا تركها مثلما فعلت و أن الأمل في عودتهما قد ضاع للأبد.

كتب لها يقول :

" حين ابتعدت عنك اكتشفتُ أن مساحة الأرض أكثر من خمسمائة مليون كيلو متر مربع، و أن السماء ليست ضيقة كما كنت أتصور، و تفاجأت جدا حين علمت أن الله قد خلق نساء أخريات، فقد كنت أعتقد أنه استقال من الخلق مذ شق عينيك و أدار نهديك، كنت أعتقد أن نحت جسد من فضة مثل جسدك عمل متعب يحتاج إجازة ألف عام في السماء السابعة !

الحب لعبة مسافات و أنا لم أعط قلبي مسافة كافية بعيدا عن نار حبك، فاحترق بالكامل في لهيبها، و أجثو الآن على ركبتي لأقبل جبينه المتفحم و أقول له مواسيا : إن النسيان مطر سماوي قادر على إطفاء أي نار و البعد طبيب بارع في مداواة كل الحرائق و الجروح !

لا تفقد الأمل، ستنبعث من هذا الحريق، كطائر الفينيق، إن الموت ولادة أخرى، و الخيانة درس في الوفاء.

لا تحزن، بل احمد الله الذي شرفك باختبار الصدق في زمن النفاق "

أنهى الرسالة ثم بعثها إليها عبر الواتساب قبل أن يلج قائمة الأسماء و يمحو رقم هاتفها، و يمحو معه حبه له و كل ذكرياتهما إلى الأبد.

شغّل الموسيقى بهاتفه و وضع السماعات بأذنه، فانطلق صوت عبد الحليم حافظ شجيا حزينا :

" طريقك .. يا ولدي ..

مسدودٌ .. مسدودْ "

وضع رأسه بين يديه و أخذت دموعه تهطل بغزارة.

الفصل الخامس

كنتُ أقول أن قلبي صار كيحيى بن زكرياءْ

حصورا .. لا تحرك مشاعره النساءْ

حصنا منيعا .. لا تهزه عيون حسناءْ

كنت أقول أن الحب سخافه ..

و ألف خرافه

سبحانه و تعالى عن أفكاري البلهاءْ

و حين التقيت فيك ..

مات يحيى بداخلي .. و زكرياءْ

ماتت عفة الأنبياءْ

و استيقظ خمسون ألفا من الشعراءْ

اشتعلت ألف رغبة .. و ألف اشتهاءْ

كيف استطاع حبك أن يحولني من نبي عفيف ..

إلى شاعر يتغزل بالعيون و الخدود و الأثداءْ

هناك دائما استثناء

و كنتِ أنتِ الاستثناءْ

-1-

آسفي، الحي الراقي ABC

يونيو 2016

ودعت سعيدة زوجة أبيها خديجة و أخويها، و عانقت الخادمة بحرارة فقالت و هي تمسح دمعها :

- اعتنِ بنفسك يا ابنتي

ركبت سعيدة سيارة من نوع رونج روفر بجانب أبيها الذي كان يقود بسرعة متجها نحو مطار محمد الخامس بالنواصر.

كانت الساعة تشير إلى الخامسة عصرا حين بلغا المطار، فقعدت سعيدة تنتظر الطائرة التي ستقلها إلى إيطاليا، كانت تشعر برغبة شديدة في إخبار أيمن رغم أنها لم تتحدث إليه منذ مدة طويلة، قاومت قليلا ثم استسلمت لرغبتها فأخرجت هاتفها و كتبت له : " أيمن، لا أدري ما سأسميك، إن قلت لك حبيبي سأكون كاذبة و إن قلت لك صديقي سأكون كاذبة، لذا سأكتفي بمناداتك باسمك فقط، لقد وددت إخبارك أني الآن بالمطار سأغادر إلى إيطاليا، أرجو أن يكتب لنا الله لقاء قريبا، اعتن بنفسك

أحبك. "

أغلقت الهاتف حين ارتفع صوت مضيفة المطار :

- على المسافرين المتوجهين إلى مدينة روما الالتحاق بالطائرة، ستقلع الطائرة بعد قليل.

عانقت سعيدة والدها بحرارة ثم توجهت نحو الطائرة و دموعها تنهمر بغزارة.

-2-

مضت ثلاثة أيام على وجود سعيدة بمدينة روما و لم يصلها رد أيمن بعد على رسالتها، كانت تتفحص علبة رسائلها على الفيسبوك في كل حين على أمل أن تجد ردا منه، و قد بدأ يعتريها شعور بالندم على بعثها رسالة إليه.

كانت تنتقل بين منازل أخوالها الثلاثة و الذين أحسنوا معاملتها و أشعروها بالحنان الذي كانت تحتاجه .

كانت تقضي معظم وقتها في التجول في شوارع روما، و أحيانا تجلس في المقهى لتدخن، و في يومها الرابع هنا فكرت بالذهاب إلى الحانة إذ تملكتها رغبة شديدة في السكر.

كانت الحانة ممتلئة بأشخاص من مختلف الجنسيات، طلبت شرابا ثم جلست تشرب وحيدة، اقترب منها شاب طويل القامة، أزرق العينين ، و قال بلغة إيطالية رديئة :

- مساء الخير

ردت قائلة :

- مساء الخير

سألها قائلا :

- هل يمكنني أن أنادمك على الشراب ؟

ردت مرحبة :

- نعم ممكن

قعد ثم قال :

- هل أنت إيطالية ؟

قالت :

- جنسيتي إيطالية، لكن أصولي من المغرب

قال في فرح :

- رائع، أنا أصلي من لبنان

ثم أردف :

- ما اسمك ؟

قالت :

- سعيدة، و أنت ؟

قال :

- مارون

ثم سألها :

- ماذا تشتغلين ؟

قالت :

- لا أشتغل، جئت إلى إيطاليا لأجل الدراسة، و أنت ؟

قال :

- أنا ملحن و منتج أغان ..

قالت متعجبة :

- حقا ؟

ثم استطردت :

- أنا هوايتي الغناء

قال :

- حقا ؟

ثم أردف :

- هل يمكنك أن تغني لي مقطعا ؟

شعرت بالخجل فقالت نافية :

- لا لا ، إن صوتي ليس جميلا جدا

قال في إصرار :

- مع ذلك أرغب في سماعه

انصاعت لرغبته ثم غنت :

" بيسان شو نفعها ها الدنيا بلاكي

بيسان ما كنت بعيش لولاكي "

قام مصفقا لها ثم قال و هو يجلس :

- يا الله، ما أروع صوتك.

قالت مستغربة :

- هل أعجبك صوتي فعلا ؟ أم تجاملني ؟

قال مؤكدا :

- إنه أسطوري

-3-

" صباح الورد يا سعيدة البعيدة، كيف حال روما هذا الصباح ؟ لا بد أنها قد ازدادت رونقا و جمالا بازدياد معلمة إلى معالمها التاريخية، أتعلمين ؟ لم أنم ليلة رحيلك، لقد كنت أفكر كيف سأقضي ما تبقى لي من العمر دونك، إن هذا مؤلم، مؤلم جدا، لقد قضيت الليلة كاملة أفكر فيك، كان ذراعاك يطوقان عنقي، و كان نهداك كَحِمْلَيْنِ وديعين يداعبان صدري في رفق، لقد تيقنت تمام اليقين أني أحبك، قسما بعينيك الخضراوين كأحجار الزمرد أني أحبك، و سأظل أحبك.

آه يا سعيدة البعيدة، كم تمنيت أني حنبعل يقف على أبواب روما و يصرخ : أخرجوا إلي حبيبتي، كم تمنيت لو أني سبارتاكوس أجتاح روما بجيش من الثائرين فأحملك على ظهر فرس يا ثائرتي الجميلة و أهرب بك بعيدا، كم تمنيت أنني نيرون فأحرق كل شبر من روما التي سرقتك مني.

آه يا صديقتي و رفيقتي و حبيبتي، كم تمنيت أنني نصب تذكاري بشارع بورجوينونا فتسندين إلي ظهرك في لحظة تعب، كم تمنيت أنني شجرة بشارع فينيتو فتلامسني يدك حين تمرين بي بكل لطف و حب، كم تمنيت أنني رصيف بشارع ديل كورسو فتطأني أقدامك الطاهرة، لكن لا سبيل إلى تحقيق هذه الأماني لذلك ترينني أجلس هنا ألعن الظروف القاهرة، لن أعاتب القدر هذه المرة كما أفعل غالبا، ربما يحاول الله أن يجعل قصتي أكثر تشويقا فإن عالم الآلهة عالم ممل، أعرف أنك تضحكين الآن و تقولين : تتحدث و كأنه سبق لك أن كنت إلها، و جوابي لك هو : أجل، لقد كنت إلها حين حضنتني و زرعت زهرة من زهر

شفتيك على جبيني، لكن عالمي حينها لم يكن مملا بل كنت سعيدا، كنت أسعد إله في التاريخ، أسعد من ديونيسوس نفسه "

أخيرا وصلت الرسالة التي كانت بانتظارها، نهضت من نومها، كانت عارية الجسد تماما، نظرت إلى مارون الممدد على السرير، و الذي قضى نهداها الليل في مداعبة صدره، تحركت بعيدا عنه، و قعدت أرضا تقرأ الرسالة مرارا و تكرارا، شعرت بحزن كبير يعتريها، ضمت الرسالة إلى صدرها و بدأت دموعها تنهمر بغزارة، قالت بصوت كئيب :

- أيمن

ثم أضافت :

- ربما جسدي بعيد عنك لكن روحي معك أينما كنت

الفصل السادس

-1-

البئر الجديد

يوليوز 2016

إنها الخامسة عصرا، كانت زينب تجلس وحيدة في غرفتها تمسك بين يديها شهادة الإجازة، و تردد دون توقف : " زينب ظافر، الإجازة في الكيمياء، الميزة حسن "

" زينب ظافر ، الإجازة في الكيمياء، الميزة حسن"

" زينب ظافر ، الإج ..."

و فجأة توقفت، تذكرت ذلك اليوم، اليوم الأخير لها في الكلية حيث تجمعت برفقة الكثير من الطلبة منتظرين أستاذ الكيمياء العضوية الذي أخبرهم أنه سيطلعهم على النتائج زوال اليوم، كان أملها متوقفا على هذه النتيجة بعد أن استوفت كل المواد في الدورة العادية و لم يتبق لها إلا مادة الكيمياء العضوية، قالت في نفسها : " إن الدورة الاستدراكية في الكلية مثل الموت أمر محتوم لا بد أن يتذوق مرارتها كل طالب "

دقت ساعة الحسم، و جاءت اللحظة التاريخية في حياتها و ظهر الأستاذ و في يده ورقة واحدة، تسارعت دقات قلبها، إذ أدركت أن عدد الناجحين

قليل، و قد صدق ظنها إذ لم تحوِ الورقة إلا أحد عشر اسما كان أولهم اسمها :" ظافر زينب"، فشكرت الله ثم أنزلت بصرها لتقرأ باقي الأسماء، شكرت الله مرة أخرى حين تجلى لها اسم " الخزرجي أيمن" شعرت أنها نجحت مرتين، و راقبت أيمن الذي كان يمد عنقه ليقرأ لائحة الأسماء، قبل أن يصرخ فرحا، ثم ركض و احتفل على طريقة كريستيانو رونالدو حين يسجل هدفا، جعلها ذلك تبتسم و إن لم تعرف سر الاحتفال، تأملته قليلا من بعيد ثم ألقت نظرة أخيرة على اللائحة و انصرفت على صوت أحد الطلبة يقول في غضب :

- لم ينجح سوى أحد عشر طالبا، هل كان هذا الأستاذ يرغب في جمع فريق للدوري الرمضاني ؟

لماذا تتذكر كل هذا الآن ؟

لا تدري، لعل ما يهمها من كل هذه الذكريات هو أيمن، الذي رأته لآخر مرة حينها، تمنت لو تذهب إليه و تودعه بعناق أو قبلة، لكن ذلك كان مستحيلا.

تتذكر بمرارة أن كل مجهودها في الدراسة ذهب عبثا و أن عليها الاستعداد لزفافها الأسبوع القادم من سعد، أستاذ التربية الإسلامية و صديق عمها الذي اصطفاه لها زوجا.

عادت تتأمل الإجازة، صحيح أنها لا قيمة لها الآن، غير أنها الشاهد الوحيد على إنجازها الكبير فليس من السهل أبدا الحصول على الإجازة في الكيمياء، فكم من طالب قضى ست أو سبع سنين في الكلية ثم عاد إلى بيت أبويه بخفي حنين .

عادت تتأمل الإجازة، و أخذت تردد مثل ببغاء : " زينب ظافر ، الإجازة في الكيمياء، الميزة حسن "

" زينب ظافر ، الإجازة في الكيمياء، الميزة حسن "

ثم حضنت الشهادة و انهمرت دموعها بغزارة.

-2-

أهذا عرسها .. أم حفل تأبيني ؟

أشعر أن التراب يعلو جبيني

العين باكيه ..

الرجل حافيه ..

و أمضي إلى مصيري الحزين ِ

عريسها .. أمير قلبها ..

أراه بهلوانا لا أميرا

عيناها أحسبهما منكرا و نكيرا

فيبكي قلبي و تبكي عيني

في حفل زفافها المبارك

في حفل زفافها اللعين ِ

وضعوا على رأسها إكليلا

ألبسوها سوارا ذهبيا .. و عقدا جميلا

عطروها بزهر الليمون ِ

و قلبي يرقص كالطير الذبيح ..

و يصيح : " لا تأخذوها إنها حبيبتي ..

كيف أعيش من دونها ؟

كيف تعيش من دوني ؟

أترضون .. بدم بارد .. أن تذبحوني ؟ "

لما دخلت و يدها في يد فارسها الأمين ِ

ليعيشا فصول ليلة العمر ..

أعدموا قلبي .. شنقا ..

و حرقا ..

و أعدموني

نار تلتهم جسدي

حيث أقف .. حيث أمشي ..

أهذا عرسها .. أم تراه نعشي ؟

إذن خذوني ..

إلى قبري .. إلى مصيري الحزين ِ

في يوم زفافها ..

ألبسوها ثوبا ورديا، كانت تبدو ... كانت تبدو مثل ... في الحقيقة يعجز اللسان عن وصف جمالها، لقد كانت فاتنة جدا.

في يوم زفافها ..

همست لها أمها قائلة :

- أنت في غاية الجمال يا ابنتي

تصنعت الابتسامة، فأضافت أمها :

- إن سعد شاب طيب، سيعتني بك جيدا

ظلت تصغي إلى كلام أمها دون أن تنبس ببنت شفة، و ماذا عساها تقول ؟، " أمي إن كان فعلا شابا طيبا و يرغب في سعادتي فليتركني و شأني "، كم ودت لو كان بإمكانها قول ذلك.

في يوم زفافها ..

لم تشعر أنها عروس بل كانت تشعر كأنها شاة يقودونها إلى الذبح، و لا حيلة لها للنجاة.

هل الزواج سيء هكذا ؟ أم أن الزواج من شخص لا ترغب به هو الذي يجعلك تشعر أن الزواج سيء ؟ ليست تدري و لا ترغب أن تدري و لا يهمها أن تدري، إنها مجرد أسئلة تافهة لن يغير الجواب عنها شيئا، إنها ستتزوج من سعد بعد قليل و عليها تقبل ذلك، التفتت إلى أمها و قالت :

- هل وافق عمي على إحضار المجموعة الموسيقية ؟

أجابت :

- نعم

ثم أضافت :

- لكنه اشترط أن يستخدموا الدف فقط و أن لا يغنوا شيئا له علاقة بالحب و الغرام.

أومأت برأسها دون أن تقول شيئا، أي عرس هذا الذي لا موسيقى و لا أغاني حب و لا رقص فيه ؟ أهذا عرس أم حفل تأبين ؟ لولا أن الفستان الذي كانت ترتديه كان ورديا و ليس أبيضا لأيقنت أن هذه جنازتها.

في يوم زفافها ..

أخرجوها إلى قاعة العرس و التي لم تكن ممتلئة فلم يحضر إلى عرسها سوى أفراد عائلتها و عائلة سعد و بعض أصدقائه و بعض أصدقاء عمها و أبيها.

كان سعد يقف وسط القاعة ينتظر مجيئها بهيئته الحسنة، كان ليعجبها في ظروف أخرى.

جلست قربه و قد احمرت وجنتاها خجلا، فسألها قائلا :

- هل أنت بخير ؟

ردت بصوت خجول :

- نعم

تبسم ثم قال :

- أشكر الله أن جعلك من نصيبي

صمتت قليلا ثم قالت :

- الحمد لله

لم تكن تعلم لأجل ماذا تحمد الله، أرادت فقط أن تسايره في حديثه، نظرت إليه خلسة ثم قالت في نفسها :

- ليتك كنت أيمن

بمجرد أن قفزت ذكرى أيمن إلى عقلها و قلبها بدأت المجموعة الموسيقية العزف على الدف و انطلق صوت المغني ذو النبرة الحزينة و هو ينشد أبياتا للسان الدين بن الخطيب :

" جادك الغيث إذا الغيث همى

يا زمان الوصل بالأندلس ِ

لم يكن وصلك إلا حلما

في الكرى أو خلسة المختلس ِ "

ثم هطلت دمعتان على خدها، حسبهما سعد و باقي الحضور دمعتي فرح، بينما واصلت المجموعة الموسيقية غناءها :

" يا أهيل الحي من وادي الغضا

و بقلبي مسكن أنتم به

ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا

لا أبالي شرقه من غربه "

-3-

انتهى العرس أخيرا، و أخذ سعد زوجته إلى البيت الذي اشتراه قبل سنتين، كان يشعر أنه أسعد رجل في العالم، لأنه ظفر بالفتاة التي تمناها، شكر الله في سره و ظل طيلة الطريق يردد في نفسه : " و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ".

أوقف سيارته غير بعيد عن بيته، و نزلت زينب بعد أن نزل، نظر إليها باسما ثم مد يده لها فأمسكت بها في خجل و توجها إلى داخل البيت، تذكرت – و هما يعبران عتبة الباب – قولها لأيمن حين كان يحلمان معا :

- حين نتزوج أريدك أن تحملني إلى داخل البيت

فكان يجيبها مازحا :

- سأفعل، شريطة أن لا يزداد وزنك

حين دخلت البيت ألقت ببصرها تتفحص زواياه، لم يكن كبيرا جدا، لكنه كان شديد النظام، يتكون من غرفتين و مطبخ و مرحاض و فناء صغير، طلب منها سعد أن تلج الغرفة الأولى على اليمين، كانت الغرفة شبه فارغة إلا من سرير في منتصفها و دولاب ملابس يتعلق بالحائط مثلما يتعلق طفل رضيع بظهر أمه، أشار لها أن تتقدم نحو السرير ففعلت على استحياء، تعلم أنها بعد دقائق ستمارس الجنس لأول مرة في حياتها .

لم تشعر في حياتها بمثل هذا الحرج و هي تنزع ملابسها، كان سعد يراقبها في شهوة و تسارعت نبضات قلبه حين نزعت حمالات صدرها و صار يترقب بصبر نافذ أن تنزع سروالها الداخلي ليتجلى أمامه جسدها كاملا

أبيضا كالثلج، شهيا كرائحة طعام يحضره غوردن رامزي، ثم تمددت على السرير لينزع هو الآخر ملابسه و يتوجه نحوها، تأملت كل جزء من جسده لكنها لم تشعر بأي شهوة اتجاهه، قالت في نفسها و هي تتأمل عضوه المنتصب الذي تكاد عروقه تنفجر :

- لو كنت أملك قضيبا مثله لكان مصيري مختلفا، كنت أكملت دراستي و حصلت على عمل مثله.

و أضافت و هو يفتح ساقيها و يمرر عضوه فوق شعر عانتها الناعم :

- جريمتي الوحيدة التي قادتني لهذا المصير هي أنني أملك بين فخذي فرجا

لم تشعر بتلك اللذة التي كانت تتوقعها .. كانت تشعر فقط بجسده يهتز فوقها و تسمع تأوهاته .. لم تشعر بألم الإيلاج الأول .. لم تهتم بمنظر الدماء فوق فخذيها .. لم يكن يضاجعها بل كان يضاجع جثة ..

الفصل السابع

كل جمال غير جمالك ..

ليس له في قلبي وقْعُ

إذا ما قابلت غيرك ..

خذلني البصر .. و السمْعُ

فأرى كل إنسان سواك ..

في الحب .. ليس له نفْعُ

أحببتك .. حتى قالوا عن حبي لك ..

أنه فسق خالف ما جاء به الشرْعُ

لكني أشعر حين أحبك ..

أنني مؤمن تقي ..

ما فاته يوما وتر .. و لا شفْعُ

و لأن مكانتك في قلبي رفيعة

لم أكتب عنك قصيدة ..

إلا بقافية حركتها الرفْعُ

-1-

روما إيطاليا

فبراير 2017

تناولت سعيدة طعام الإفطار ثم ذهبت للاستحمام، كانت تبدو و هي تحت الدوش بجسمها الأسمر العاري و عيونها الخضر مثل لوحة فنية أبدعها بابلو بيكاسو.

أنهت الاستحمام و نشفت جسمها ثم ارتدت ملابسها و جلست في فناء البيت ترتشف شرابا دافئا و هي تتأمل المطر الذي يهطل غزيرا من وراء النافذة الخضراء.

راقبت الساعة فوجدتها الحادية عشرة صباحا إلا الربع، كانت في انتظار مارون، لقد تزوجا قبل شهر وسط معارضة شديدة من أهلها لأنهم يريدونها أن تتم دراستها فطمأنتهم قائلة :

- لن أتوقف عن الدراسة، لن يتغير شيء في حياتي كل ما في الأمر أنني سأتزوج

لكنها تعلم أن السبب الرئيسي لمعارضة أهلها هو كون مارون مسيحي، و قد أفصح أحد أخوالها عن ذلك قائلا :

- يا ابنتي نحن نحترم قرارك، لكن مارون مسيحي و نحن مسلمون.

"نحن؟، هل سأتزوج أنا وحدي من مارون أم كل عائلتي ؟" قالت في نفسها.

أجابت خالها قائلة :

- إن مارون يحبني و أنا أحبه و يعاملني برفق و يعتني بي، و لا يهمني إن كان يعبد المسيح أو يعبد الشمس و القمر أو يعبد الحجر، فأنا سأتزوجه.

لم يشغل الدين يوما مساحة كبيرة في حياتها و لا تهتم عادة لمعتقدات الآخرين فما يهمها من الناس هو سلوكهم.

في صراعها مع عائلتها للزواج من مارون دعم أبوها موقفها و ساندها و قد كان ذلك كافيا لترضخ باقي العائلة لمبتغاها و ستظل ممتنة له طيلة حياتها.

تجلس الآن مرتاحة البال ترتشف قهوة دافئة في هدوء و تستمتع بالأجواء الماطرة منتظرة مارون حيث ستسافر معه إلى لبنان كي تقابل أهله.

تشعر بالتوتر حين تفكر بلقائها الأول بأمه رغم تأكيده لها أنها امرأة طيبة و ستحبها، في مقابل ذلك تشعر بالحماس لما تتذكر أخته جيسيكا، الفتاة الجميلة ذات العيون الفاتنة و الشغوفة بالموسيقى و الشعر، أحبتها سعيدة من خلال تواصلها المستمر معها، و وجدتها فتاة حلوة الحديث و المعشر.

أنهت فنجان القهوة و ظلت قاعدة تراقب المطر قبل أن يلج مارون البيت مبتسما، طبع قبلة على خدها المتورد ثم جلس بجانبها و قال :

- كيف حالك ؟

ردت قائلة :

- بخير، و أنت ؟

قال و هو يربت على كتفها :

- أصبحت أحسن حالا حين رأيتك

ثم أردف :

- رائحتك جميلة

ابتسمت دون أن ترد، ليسود الصمت بينهما لحظة فبدده مارون قائلا :

- كل شيء جاهز

صمت قليلا و أردف :

- سنسافر اليوم إلى لبنان

-2-

بيروت، لبنان

كان حلما من أحلام سعيدة أن تزور بيروت موطن الثقافة و الموسيقى، و قد شكرت مارون في سرها لأنه حقق لها هذا الحلم.

كان لقاؤها بجيسيكا جميلا جدا إذ تبادلا العناق و القبلات بحرارة و قعدا يتحدثان مدة طويلة بينما قضى مارون وقتا أطول مع أمه و التي وجدتها سعيدة امرأة طيبة حسناء الوجه ذات عيون زرق، تبدو متدينة جدا من خلال رصيدها اللغوي المليء بالعبارات الدينية.

في صباح اليوم التالي، طلبت سعيدة من جيسيكا أخذها في جولة في شوارع بيروت إذ أرادت اكتشافها عن كثب، فظلت تتجول زهاء الثلاث ساعات دون ملل.

عادت إلى البيت عند الساعة الواحدة زوالا و بعد تناولها الغداء دعاها مارون إلى الحديث على انفراد، قعدا معا في شرفة البيت فقال مارون :

- لقد قابلت اليوم صديقا يشتغل بإحدى شركات الإنتاج المشهورة و قد أخبرني أنه معجب جدا بصوتك و قد رشحك للشركة فأبدوا اهتمامهم بك

أشرق وجه سعيدة فرحا و قالت :

- كنت أعلم أن مجيئي إلى بيروت سيفتح لي أبواب الخير

أومأ مارون برأسه موافقا ثم قال :

- نحتاج الآن إلى نص كي ألحنه و نقدمه لهم

فكرت قليلا ثم قالت :

- سأفتش عن نصوص و أقترحها عليك

قال موافقا :

- جيد، سأبحث بدوري.

غمرت سعيدة فرحة عارمة، كانت تشعر أنها تحلق في السماء، فغن نجح الأمر سيصدح صوتها في كل الدنيا و ستحقق الشهرة التي تحلم بها.

في عصر ذلك اليوم دعتها جيسيكا إلى جولة في مكتبتها و قد كانت مكتبة كبيرة مقسمة بشكل جميل، وقفت سعيدة وسطها مشدوهة كمن دخل جنة ذات أشجار و أنهار، قبل أن تقصد جناح الرواية و تقرأ العناوين و هي تمرر يدها على الكتب :

" 1984، جورج أورويل

شيطانات الطفلة الخبيثة، ماريوس بارغاس يوسا

ساعي بريد نيرودا، أنطونيو سكارميتا

يوتوبيا، أحمد خالد توفيق

أولاد حارتنا، نجيب محفوظ

شيكاجو، علاء الأسواني

... "

ثم تحولت إلى جناح الفكر و الفلسفة :

" قصة الفلسفة، ويل ديورانت

هكذا تكلم زرادشت، نيتشه

نقد العقل الخالص، عمانويل كانط

انقلاب المعبد، عبد الرزاق الجبران

مغامرة العقل الأولى، فراس السواح

... "

أكملت جولتها و وقفت عند جناح الشعر :

" الرسم بالكلمات نزار قباني

لا تعتذر عما فعلت، محمود درويش

لو أننا لم نفترق، فاروق جويدة

أزهار الشر، شارل بودلير

أناشيد الحب و الفراق، أيمن الخزرجي "

توقفت الأرض عن الدوران و دق قلبها بعنف و هي تعاود القراءة :

- أناشيد الحب و الفراق، أيمن الخزرجي

صمتت ثم كررت :

- أيمن الخررجي ؟ أيمن ؟

تناولت الديوان بين يديها، و قلبت أوراقه في دهشة، شعرت بالدوار فتوجهت إلى كرسي قريب و جلست، كانت يداها ترتشعان فلاحظت جيسيكا اضطرابها لتقترب منها و تسألها :

- سعيدة، ما بك ؟

قالت بصوت ضعيف :

- أريد كوب ماء من فضلك

ألقت نظرة على الواجهة الخلفية للكتاب فظهرت لها صورة أيمن بوجهه الوسيم، ابتسمت دون شعور، قبّلت الصورة دون شعور و قالت :

- أيمن، يا حبي الأبدي

الفصل الثامن

" السيد أيمن الخزرجي

لقد توصلنا بكتابك "أناشيد الحب و الفراق" و نود أن نشكرك لأنك وضعت ثقتك بمؤسستنا، و نحيطك علما أننا اطلعنا على كتابك باهتمام بالغ و قد خلُصنا إلى أنه كتاب رائع و أنك كاتب و شاعر موهوب، و لكن يؤسفنا إخبارك أننا حاليا لا نفكر في إصدار دواوين شعرية.

نتمنى لك التوفيق

و السلام عليكم

دار عكاظ للنشر و التوزيع "

رمى الظرف بعيدا و جلس يفكر، إنها رسالة رفض أخرى، قال في غضب :

- لماذا اخترتم اسم عكاظ إن كنتم لا ترغبون في نشر دواوين شعرية ؟

رسالة رفض جديدة، لكن هذا لن يجعله يتراجع أو يستسلم، لا شيء يستطيع تحطيم إيمانه بنفسه و شعره، بل سيتمسك بكل الآمال، فهذه الصفحة من قدره لم تقلب بعد، ربما في سطرها الأخير توجد أخبار سعيدة، لذلك لن يقلبها حتى يقرأه.

ألم ترفض ثلاثون دار نشر رواية كاري لستيفن كينغ ؟ ألم تجد نصف دور النشر البريطانية الجزء الأول من هاري بوتر طويلا جدا بالنسبة

للأطفال قبل أن تصبح رواية الخيال العلمي الأكثر مبيعا في العالم ؟ ألم يتوصل فرانك هربرت بعشرين رسالة رفض لروايته كثيب ؟

لن يفقد الأمل، لأن هناك دائما أمل.

قلى بيضتين و سخن إبريق الشاي المتبقي من فطور الصباح و جلس يأكل و عقله مشغول برسالة الرفض التي وصلته قبل قليل، فكر قائلا :

- لم تعد دور النشر تهتم بالثقافة بل صار همها الأساسي هو الربح المادي، لكن لماذا لم يعد القراء يقبلون على الدواوين الشعرية ؟ هل مات الشعر حقا ؟ أم أن الإصدارات الشعرية الحالية لا ترقى إلى المستوى ؟

ارتشف الشاي و قال :

- لا أدري

ثم أضاف بعد تناول آخر لقمة من البيض :

- ربما علي أن أنشر كتابي بنفسي

صمت قليلا ثم قال مستدركا :

- لكني لا أملك مالا، أحتاج على الأقل 5000 درهم من أين سأحصل عليها ؟ و أنا لا أملك سوى 5 دراهم في جيبي ؟

ثم واصل تفكيره :

- لكن لا مناص

كان على يقين أن النشر الذاتي هو ملاذه الأخير، لكن كيف يجمع مبلغ 5000 درهم ؟، فكر قائلا :

- لنفترض أنني اشتغلت بأجرة 80 درهما في اليوم، سأجمع 420 درهما في الأسبوع، إذا اشتغلت لعشرة أسابيع سيكون معي 4200 درهم

صمت قليلا ثم استطرد :

- لا بد أن هذا سينجح

غسل الأواني ثم جلس في فراشه و شغل الموسيقى فانطلق صوت مارسيل خليفة :

" بين ريتا و عيوني بندقية

و الذي يعرف ريتا ينحني

و يصلي لإله في العيون العسلية "

أغمض عينيه و سرح بأفكاره فتخيل مغنيا وهميا مشهورا يغني إحدى قصائده فأحس بالنشوة، و قال في نفسه :

- سيأتي يوم تتحقق فيه كل أحلامي

ثم أضاف :

- غدا يوم آخر.

-2-

البئر الجديد

يوليوز 2016

عاد أيمن إلى البيت في السادسة مساء و هو منهك من العمل، اغتسل ثم غير ملابسه و استلقى في فراشه قائلا :

- العمل في البناء متعب جدا، كان الله في عون من اشتغل بنَّاء طول حياته.

بعد أن حصل على الإجازة في الكيمياء تقدم بطلب لبعض الشركات لعله يجد عملا في المختبر، لكن لحد الآن لم يأته جواب من أي شركة فاضطر إلى العمل في البناء، لا ريب أنه عمل متعب، و ما يزعجه في مثل هذه الأعمال الشاقة أن العقل يصبح عاطلا عن العمل تقريبا حيث لم يعد يملك وقتا للتفكير و التدبر و الكتابة، لكن كل تعبه يزول حين يتذكر أن هذا مجرد وسيلة لبلوغ حلمه و طبع كتابه.

كلما عاد استلقى في فراشه و تخيل نفسه منتصبا على خشبة مسرح و حوله جمهور غفير يصفق له و هو يقرأ على مسامعهم إحدى قصائده :

" إذا عجزت يا حبيبتي أن تكتبي لي

فابعثي رسائلك .. مع أي هدهد ..

مع أي عصفورْ

لست سليمان .. غير أنني ..

أفهم لغة الطيورْ "

فتبلغ نشوته ذروتها كأنه يشرب نبيذا خالصا أو يضاجع مارلين مورو .

مرت الأيام التالية بطيئة و بعد شهر من العمل جمع 4000 درهم، شعر حينها أنه دنا أكثر من أي وقت مضى من حلم حياته، قال و هو يتناول فطور الصباح المتكون من كأس شاي و قطعة خبز :

- علي أن أعثر على لوحة مناسبة للغلاف، كما يجب أن أجد رساما من أجل الرسومات الداخلية.

و بينما هو مستغرق في التفكير إذ طرق باب الغرفة حيث يكتري، فتح الباب فانتصب أمامه جسد صاحبة البيت، ألقت عليه التحية ثم قالت :

- هل نقود الكراء متوفرة ؟

أشار لها بسبابته أن تنتظر إذ كان لا يزال يلوك قطعة خبز في فمه لم يسمح له طرقها المتكرر على الباب أن يبللها بالشاي، ولج الغرفة ثم عاد و في يده 150 درهما، كان يكتري غرفة ضمن بيت بحي السوق القديم بالبئر الجديد تملكه سيدة أربعينية أرملة تقطن رفقة ابنها البالغ 19 سنة ويعمل بأحد الدكاكين المجاورة و طفلة تبلغ 11 عاما تدرس بالسلك الابتدائي و ستلتحق السنة القادمة بالمستوى السادس، لها علاقة طيبة بأيمن حيث كلما كتبت بعض الخواطر بأسلوبها الضعيف المليء بالأخطاء الإملائية جاءت و عرضتها عليه ليعطيها رأيه، فكان يصوب أخطاءها و يشجعها قائلا :

- استمري، ذات يوم سيتحسن مستواك

و يضيف قائلا :

- بدأت كتابة الشعر لما كنت بالمستوى الرابع ابتدائي و ما تزال لدي بعض القصائد من تلك الحقبة

ثم يردف ضاحكا :

- كلها قصائد مضحكة على فكرة

أخذت المرأة النقود ثم انصرفت شاكرة إياه على احترامه موعد الدفع، عاد إلى الغرفة و أكمل فطوره ثم تناول الهاتف بين يديه و ولج الفيسبوك بغرض البحث عن رسام محتمل يرسم له لوحة الغلاف، فتش لوقت غير يسير بين قائمة أصدقائه فوقع بصره على لوحات جميلة جذبت انتباهه، كانت لرسامة تدعى هاجر العثماني، تأمل اللوحات قليلا ثم بعث لها رسالة :

" مرحبا صديقتي

لقد اطلعت على لوحاتك و أعجبتني جدا و لدي طلب إن كان ممكنا : أود طبع ديوان شعري و أحب أن تزين إحدى لوحاتك غلافه "

لم يتأخر ردها كثيرا :

" مرحبا صديقي أيمن

في البدء أحب القول أنني معجبة بأشعارك و يمكنك اعتبار لوحاتي ملكا لك، خذ منها ما تشاء "

رد قائلا :

" شكرا جزيلا لك صديقتي، لقد وقع اختياري على لوحة الطيور التي تسافر عكس اتجاه الرياح "

ردت بعد وقت قصير :

" هي لك "

كتب لها بعد أن فكر قليلا :

" أحتاج رسوما داخلية أيضا "

كتبت له :

" نعم بكل سرور، ابعث لي الديوان حتى أطلع عليه و أرسم ما يناسبه "

كتب لها في فرح :

" حسنا صديقتي، ممتن لك "

أنهى الحوار ثم قال :

- الآن لم يبق إلا الاتصال بدار النشر.

-3-

الدار البيضاء

غشت 2016

قرأ أيمن لافتة معلقة فوق الباب "دار الحرف للنشر و التوزيع " ثم ولج فاستقبلته شابة حسناء في العشرينيات و طلبت منه الانتظار حتى ينهي المدير اتصالا عاجلا، جلس يتأمل كل شيء حوله، لم تكن هذه زيارته الأولى لدار نشر لكنها كانت مميزة لأنها الزيارة الأولى التي يجيء فيها و معه نقود و بذلك يتجنب تعليقات مدير النشر حول انتهاء عصر الشعر و عدم جدوى طبع الدواوين الشعرية.

مرت دقائق قليلة فطلبت منه السكرتيرة الدخول فاستجاب فورا لطلبها، انتصب المدير واقفا حين رآه، كان شابا في الثلاثينيات، طويل القامة، حسن الوجه، تبعث ملامحه على الارتياح، دعا أيمن إلى الجلوس فجلس، ثم قال :

- مرحبا بك في مؤسستنا

رد أيمن :

- شكرا لك

ثم وضع الأوراق على المكتب و قال :

- هذا الديوان الذي أخبرتك عنه في الهاتف

أخذ المدير الأوراق و قلبها بين يديه مدة، ثم قال :

- الكتاب يضم 160 صفحة، و قلت أنك تريده من الحجم المتوسط

رد أيمن و هو يخرج كتابا من محفظته :

- أريده في حجم هذا الكتاب

تناول المدير الكتاب بين يديه و فكر قليلا و هو يتأمل الأوراق التي بين يديه و قال :

- سيكلفك الكتاب 25 درهما للنسخة الواحدة

ثم أضاف متسائلا :

- كم تريد من نسخة ؟

قال أيمن :

- أريد 200

قال المدير :

- حسنا في هذه الحالة أنصحك ب 230 نسخة

فهم أيمن ما يرمي إليه و فكره في سره : " 230 نسخة ثمن 25 درهما للنسخة الواحدة، 5 مضروبة في 230 تساوي 1150 نضع نقطة ثم 2 مضروبة في 230 تساوي 460، إذا تكلف 5750 درهما "

و ما إن أتم حسابه حتى قال المدير :

- سيكلفك الطبع 5600 درهم، ستدفع نصفها قبل الطبع و نصفها الآخر بعد الطبع

أدرك أيمن أنه خصم 150 درهما من المبلغ و لم يشكره لأجل ذلك و قال :

- أظن أن الاتفاق بيننا قد تم.

صمت قليلا ثم أضاف :

- لقد اطلعت على كتب كثيرة قمتم بطبعها و قد وقفت على جودة الطبع و الإخراج المتقن و يسعدني التعامل معكم.

ابتسم المدير ثم قال :

- شكرا لك

و أضاف :

- عليك الآن أن تبعث الديوان عبر الإيميل من أجل السحب الأول

غادر أيمن دار النشر و هو في قمة الفرح، كان يشعر أنه قريب من قطف ثمار جهده و صبره و تحقيق حلمه الكبير، فكر قائلا : " علي أن أبعث لهم الديوان اليوم، حين أصل إلى البئر الجديد سأذهب إلى محل الانترنت "

لم يكن يملك حاسوبا لذلك فقد قام بنقل ديوانه من المسودات إلى الحاسوب في محل الانترنت، و لأنه محكوم بالوقت فلا ريب أنه ارتكب أخطاء عديدة و عليه أن يبعث لهم الديوان من أجل السحب الأول و الوقوف على الأخطاء و تصويبها.

بلغ البيت حيث يكتري بالبئر الجديد و بعد أن حضر إبريق شاي و صلته رسالة من مدير دار النشر : " تم التوصل بالكتاب "

-4-

بعد أيام قليلة وصلت أيمن رسالة على الفيسبوك من الرسامة هاجر العثماني تقول : " الرسومات الداخلية التي طلبتها جاهزة "، رد عليها قائلا : " شكرا لك صديقتي، أرجو أن تبعثيها لي في أقرب فرصة ممكنة "، أجابت قائلة : " سأبعثها فورا "

كانت خمس لوحات بقلم الرصاص، الأولى تمثل قبلة بين حبيبين و الثانية مرسوم عليها فتاة عارية يخرج من نهديها جناحان و حلمتهما تنظر إلى أعلى و الثالثة كانت مستوحاة من أسطورة سيزيف حيث رسم عليها شاب يحمل كتبا على ظهره تجمعت على شكل صخرة عظيمة و هو يصعد جبل في أسفله سجن و أعلاه طيور محلقة، أما اللوحة الرابعة فكانت لفتاة حسناء تبكي و الخامسة فكان مرسوم عليها خمس فتيات عاريات في أعناقهن سلاسل.

أُعجب أيمن كثيرا باللوحات و شكر الرسامة طويلا ثم بعثها إلى دار النشر مع رسالة قصيرة تشرح موضع كل لوحة داخل الكتاب.

بعد أيام زار أيمن دار النشر مرة أخرى فاطلع على الغلاف و راجع الكتاب للمرة الأخيرة ثم أعطى موافقته لطبعه، و دفع نصف المبلغ : 2800 درهم، قبل أن يعود أدراجه إلى البيت خائر القوى كأنه خاض حربا ضد المغول، استلقى في فراشه و فكر قائلا : " لم يبق لدي سوى 1200 درهم، سأحتاج 1600 درهم إضافية، كيف سأحصل عليها ؟، الديوان سيكون جاهزا بعد أسبوع مثلما أخبرني المدير "، ظل يتقلب في فراشه مستغرقا في التفكير، تمنى للحظة أن يكون غنيا فقال : " يا ليتني كنت حيوانا منويا في خصيتي ملك "، ثم سرح بخياله حتى أخذه النوم.

في اليوم التالي، استيقظ و شروق الشمس فأخذ سيارة أجرة و توجه إلى بيت أسرته في البادية، لم يمكث لديهم وقتا طويلا، قام بجمع كل كتبه القديمة و كان عددها يفوق 70 كتابا، وضعها في أكياس ثم قفل راجعا، لم يعد إلى البئر الجديد بل توجه إلى مدينة أزمور ثم ركب الحافلة إلى مدينة الجديدة، كانت وجهته إحدى المكتبات التي تبيع و تشري الكتب القديمة.

انتصب أيمن أمام محل علقت على بابه لافتة تقول : " مكتبة فضاء الكتاب "، فوضع الأكياس على الأرض و عرض الكتب على صاحب المحل وأخذا يتجادلان حول الأثمنة، كان يشعر أنه يبيع جزءا من روحه و كانت نار الحزن تأكل قلبه، فقال في نفسه : " هل هناك أحد يخرب حديقته بيديه ؟ "، ثم حاول حقن نفسه بجرعات من الصبر فقال : " لا بأس أن تقطف من حديقتك كل الورود التي زرعها الآخرون من أجل أن تزرع الوردة الخاصة بك "

قبض مبلغ 1100 درهم، شكر صاحب المحل ثم انصرف متمنيا له حظا طيبا، و فكر و هو يركب سيارة الأجرة إلى البئر الجديد أن عليه الاشتغال هذا الأسبوع لتوفير 500 درهم.

-5-

البئر الجديد

شتنبر 2016

" الكتاب جاهز، المرجو إحضار باقي المبلغ لتسلمه "

قرأ الرسالة و قفز من مكانه فرحا، شغّل أغنية شعبية بهاتفه ثم أخذ يرقص احتفالا و بعد أن أتعبه الرقص استلقى على ظهره فاتحا يديه و ساقيه كأنه وزغ عملاق، و قال :

- أخيرا نجحت ، أخيرا نجحت

أحصى النقود ثم ارتدى أجمل بدلة كانت لديه : سروال جينز أسود و قميص أبيض تزينه خطوط سوداء بالصدر و الذراعين، ثم ركب سيارة أجرة يريد الدار البيضاء.

كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة صباحا و ثلاث عشرة دقيقة حين بلغ دار النشر، و بعد أن قابل المدير و دفع له نصف المبلغ المتبقي عرض عليه هذا الأخير أن يدفع 50 درهما كي يتم توصيل كتابه إليه عن طريق شركة إرساليات فوافق أيمن و قال المدير :

- اليوم عند الثانية زوالا سيصلك الكتاب إلى العنوان الذي طلبته.

شكره أيمن ثم عاد أدراجه إلى البئر الجديد، كان متوترا لا يملك سلطة على أعصابه و هو يجلس منتظرا قدوم كتابه، كان كمن ينتظر زوجته و هي بغرفة الولادة لتنجب طفله الأول الذي سيحمل جيناته و بعض

صفاته، لكن هذا الطفل الورقي الذي سماه :" أناشيد الحب و الفراق " لن يحمل جيناته بل سيحمل روحه و أفكاره إلى كل الدنيا، إنه تأشيرته إلى الخلود، تذكر قول توفيق الحكيم في مسرحية بجماليون : " إن عظمة الإنسان تكمن في كونه كائنا فانيا قادرا على خلق أشياء خالدة "، ألم يفن هوميروس و ظلت الإلياذة خالدة ؟ ألم تنقرض سومر و بابل و بقيت ملحمة جلجامش ؟ ألم يأكل جسد امرؤ القيس التراب و ما تزال " قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل " تتردد في كل بقاع الأرض ؟

عند الثانية زوالا و سبع عشرة دقيقة ارتفع صوت سيارة بالخارج، ألقى أيمن نظرة من النافذة فوجد سيارة بيضاء كبيرة عليها شعار شركة إرساليات، تسارعت نبضات قلبه ثم خرج إليهم مسرعا، تسلم الحمولة و وقع أوراق التسليم ثم حمل الكتب إلى الداخل، و تناول نسخة بيدين مرتعشتين كمن يحمل طفله الأول، لقد كان هذا شعوره .

قلّب أوراق الكتاب، ضحك بصوت مرتفع، تفحص كل جزء منه، قرأه من الأول إلى الآخر و من الآخر إلى الأول، أنشد، غنى، وضع الكتاب على الطاولة و أشعل حوله الشموع و هو يردد أبياتا لنزار قباني :

" غدا ستحشد الدنيا لتقرأني

و نخب شعري يدور الورد و العرق ،

اليوم بضعة أزرار سيعقبها أخرى

و في كل عام يطلع الورق ،"

عاد ليقرأ الكتاب مرة أخرى من الأول إلى الآخر، من الآخر إلى الأول، أنشد، غنى، و تذكر زينب .. تذكر زينب، فتوقف كل شيء، و تأجلت

الفرحة و انهار على الأرض كأنه ضُرِب بحديدة على الرأسِ، و أخذ يردد كمن يتخبطه الشيطان من المسِّ :

- زينب ، زينب ، زينب ...

لقد مرت أشهر دون أن يذكرها، كان يعيش في سلام و أمان، أما الآن، فتخيم على قلبه سحب من الكآبة و الأحزان، ظن أنه نسيها لكنه كان مخطئا، فبداخل كل واحد منا جراح لا تفنى أبدا.

وضع رأسه بين يديه و لأول مرة ، منذ أشهر، بكى .

الفصل الثامن

خذي ما تشائين من الوقتِ

فكّري .. وناوري ..

خذي ما تشائين من الوقتِ

حرّكي وزيراً .. حرّكي أميراً

حرّكي حصاناً إن شئتِ

خذي بيادقي جميعها ..

سأضحي بأفيالي .. وخيولي ..

لتنتصري أنتِ

أما انتصاري أنا ..

أنْ أراك انتصرتِ

ورفعت يديك الناعمتين احتفالا

وابتسمتِ ..

حبّك رقعة شطرنج ..

وقلبي قلعتانِ .. وألف بيدقٍ

يحمي سعادتك من الموتِ

-1-

الجديدة

أكتوبر 2016

قال صاحب المكتبة و هو يقلب الديوان بين يديه :

- هل هذا الكتاب من تأليفك ؟

رد أيمن :

- نعم

فصمت صاحب المكتبة قليلا ثم قال :

- و بكم تود بيعه ؟

قال أيمن و هو يشير إلى الكتاب :

- 30 درهما، الثمن موجود بخلفية الكتاب

قلّب صاحب المكتبة الكتاب فظهرت له صورة أيمن و مقطع شعري من إحدى قصائده :

فمك قارورة عطرٍ ..

نهدك باقة زهرٍ ..

وخصرك جيتارُ

شعرك القصيرُ طفولة قمحٍ ..

عنقك رشيقٌ .. كرُمحٍ ..

وعيونك أقمارُ

ما أحلاكِ .. في القميص الوردي ..

إذ لدى الصدر فُتِحتِ الأزرارُ

ما أحلاك .. وسيجارة وينستون ..

بين شفتيك تأكلها النارُ

زمّ شفتيه و قال ساخرا :

- من هذه التي عذبت قلبك حتى كتبت عنها ديوان شعر ؟

تبسم أيمن دون أن يجيب فقد اعتاد سماع مثل هذه السخافات لكنه تعجب أن يسمعها من صاحب مكتبة ثم زال تعجبه حين تذكر أنه سمعها سابقا من كتاب و شعراء.

ساد صمت بينهما للحظات قبل أن يقول صاحب المكتبة :

- اترك لي أربع نسخ

فتح حقيبته و أخرج ثلاث نسخ و أعطاه إياها، فسجل صاحب المكتبة رقمه و قال و هو يودعه :

- إذا نفذت هذه النسخ سأتصل بك

زار أيمن مكتبات أخرى غير أنها رفضت تسلم الديوان بحجة أن الدواوين الشعرية لا تباع، و قال له صاحب إحدى المكتبات ساخرا :

- هل ما زال الناس يكتبون الشعر ؟

و قال آخر :

- 30 درهما ؟ لو أنه ديوان لنزار قباني ما كان ليباع بهذا الثمن.

و قال آخر :

- نجد صعوبة بالغة في بيع الروايات و الكتب الفكرية فكيف بالدواوين الشعرية ؟

و قال آخر بلباقة :

- أعتذر منك أستاذ، هذه فترة الدخول المدرسي، عدْ في نونبر.

من سوء حظه أن إصدار كتابه تزامن مع الدخول المدرسي حيث تنتعش السوق بالنسبة للمكتبات و تتحول من متسول بائس للزبائن إلى وحش يفترس الجيوب.

ذهب إلى صديق له يبيع الكتب على الأرصفة، كان رجلا خمسينيا، يعيل زوجته المريضة من خلال ما يجنيه من مال زهيد من بيع الكتب، سلم عليه أيمن و بعد حديث قصير أهداه خمس نسخ من ديوانه و قال :

- بعها و انتفع بثمنها

قال بائع الكتب بصوت شوه التدخين نبرته :

- شكرا لك يا ولدي، أتمنى لك التوفيق

ثم انكب على الكتاب يقرأه حتى أنه لم يسمع أيمن حين قال له مودعا :

- مع السلامة، نلتقي لاحقا.

عاد أيمن إلى البيت متعبا، ولج موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك و كتب منشورا إشهاريا لكتابه فجاءته بعض الرسائل من أصدقاء يطلبون نسخا، فأثمرت العملية بيع عشر نسخ، لكن بيع عشر نسخ من كتابه لم يكن كافيا ليوفر له مالا للمعيشة لذلك قرر أن يشتغل، و قد اقترح عليه صديق له يعمل أستاذا لمادة اللغة العربية بإحدى المدارس الخاصة بالبئر الجديد أن يتقدم لهم بطلب عمل فهم في حاجة لأستاذ فيزياء كما وعده بأن يتوسط له لدى مرؤوسيه .

بعد يوم واحد اتصل مدير المدرسة الخاصة بأيمن راجيا منه زيارته في أقرب وقت ممكن، فلما جاء و كلمه، قال المدير :

- لقد أثنى عليك أستاذ العربية كثيرا و نحن في حاجة إلى أستاذ كفء مثلك

شكره أيمن و أضاف المدير :

- سندفع لك 90 درهما للساعة الواحدة، و ستشتغل 8 ساعات في الأسبوع.

وافق أيمن و التحق بالعمل من فوره.

-2-

البئر الجديد

شتنبر 2016

" كل شيء في الطبيعة يتكون من ذرات، الحجر و الشجر و البحر و الرمال، كل شيء، يوجد 118 عنصرا يتفاعلون فيما بينهم ليكونوا المواد، إذا تفاعلت ذرة أوكسجين مع ذرتي هيدروجين سيكون لدينا مركب كيميائي اسمه الماء، إذا تفاعلت ذرة كربون مع ذرتي أوكسجين سيكون لدينا مركب كيميائي اسمه ثنائي أوكسيد الكربون، إذا تفاعلت ذرتا أوكسجين فيما بينهما ستعطينا غاز ثنائي الأوكسجين الذي نتنفسه.

في القديم كان الفلاسفة و على رأسهم أرسطو يعتقدون أن المادة تتكون من أربعة عناصر : الهواء و الماء و النار و التراب. و أول من قدم فرضية بخصوص وجود الذرات هو ديموقريطس في القرن الخامس قبل الميلاد، و جاء من بعده العالم دالتون في القرن التاسع عشر و أثبت أن المادة تتكون من ذرات دون أن يتمكن من معرفة مكونات الذرة.

في نهاية القرن التاسع عشر و بالضبط في العام 1897 اكتشف العالم طومسون أن الذرة تتكون من جسيمات صغيرة تحمل شحنات سالبة سماها إلكترونات و بذلك قضى على التصور الكلاسيكي عن الذرة أنها غير قابلة للانقسام الذي دام ألفي عام، و اكتشاف طومسون أثار إشكاليات نظرية لدى الفيزيائيين لأن الذرة تحمل شحنة كهربائية متعادلة، فإذا

كانت الإلكترونات تحمل شحنات سالبة فأين هي الشحنات الموجبة التي تعادلها ؟

و في بداية القرن العشرين حاول طومسون حل هذه الإشكالية فاقترح نموذجا للذرة يصورها مثل كرة معجونة و بها بعض حبوب الزبيب أو بمثال أقرب لفهمكم فقد افترض طومسون أن الذرة تشبه البطيخ حيث الحبوب تمثل الإلكترونات السالبة بينما باقي البطيخة يحمل شحنات موجبة، لكن نموذج طومسون لم يدم إلا سنوات قليلة عندما اكتشف رذرفورد أن الشحنة الموجبة تتركز في مركز الذرة، حيث قام سنة 1911 بتجربة أثبت من خلال وجود النواة و وضع ما يسمى بالنموذج النووي، و يعتبر رذرفورد أول من أثبت شكل الذرة تجريبيا حيث استخدم جزيئات ألفا المنطلقة من مادة مشعة و وضع رقيقة من الذهب و حولها لوح معدني مبطن بكبريتيد الخارصين فلاحظ أن معظم الأشعة قد مرت بينما انعكس بعضها، فاستنتج أن معظم الذرة فراغ و اكتشف وجود شحنة مركزية قوية و مركزة في حجم صغير و تحتوي على معظم كتلة الذرة، و قد سميت لاحقا بالنواة، و بالتالي افترض أن شكل الذرة يشبه شكل المجموعة الشمسية حيث توجد نواة في مركزها تدور حولها إلكترونات في مدارات ثابتة، و أتى من بعده بور ليثبت أن الإلترونات لا تدور في مدارات ثابتة و إنما تدور في سحابة إلكترونية حيث كل إلكترون يدور في مستويات طاقة مساوية لطاقته فعندما نعطي الإلكترون طاقة إضافية ينتقل من مستوى طاقته إلى مستوى طاقة أعلى و حسب هذا النموذج لا يمكن معرفة مكان وجود الإلكترونات بالضبط ."

أكمل أيمن الدرس فعلق أحد التلاميذ قائلا :

- الذرة مذكورة في القرآن

ابتسم أيمن ثم قال :

- نعم القرآن ذكر لفظة الذرة، لكنه لم يقصد بها الذرة بمفهومها العلمي الحديث، كما أن الذرة ليست أصغر شيء في الوجود بل كما رأيتم هناك جسيمات أصغر مثل الإلكترونات

رفع تلميذ آخر أصبعه و قال بعد أن سمح له أيمن بالحديث :

- لكني شاهدت أنا و أبي شيخا يقول أن كل الاكتشافات العلمية الحديثة ذكرها القرآن قبل 14 قرنا

تبسم أيمن مرة أخرى و قال :

- و لماذا لم يكتشفها هذا الشيخ و أسلافه إذن ؟

صمت ثم أردف :

- الدين ثابت و مطلق أما العلم فهو متغير و نسبي، الدين جاء ليعلمنا مكارم الأخلاق و ليس ليعلمنا الفيزياء، هدف الدين أن يبني الإنسان لا أن يبني ناطحات السحاب.

حدق به التلاميذ دون أن يقولوا شيئا فطلب منهم كتابة الدرس و أخذ يتجول بين الصفوف، وصل عند إحدى التلميذات فلمح ورقة على طرف الطاولة، نظر إليها من أعلى ثم تناولها و قرأ :

" أحبك، أحب أن ألقاكْ

أن أراكْ

أن أسمعَكْ

أحب وجودي معَكْ

أحبك .. و أدعو الله في كل يوم ..

إليّ أي يُرجعَكْ "

اندهش أيمن و نظر إليها طويلا ثم قال :

- هل أنت من كتب هذا ؟

رفعت إليه بصرها و احمرت وجنتاها مما زاد عيونها الخضر اخضرارا، و قالت بصوت خجول :

- نعم

فقال أيمن بصوت مرتفع سمعه الجميع :

- ضعوا الأقلام

ثم قال و هو يناولها الورقة :

- قومي يا جيهان إلى السبورة

أخذت الورقة و قالت في تردد :

- و لكن يا أستاذ ...

فقاطعها :

- قومي إلى السبورة

ثم قال مخاطبا الجميع :

- اصغوا إلى زميلتكم

انتصبت التلميذة جيهان أمام السبورة و أنشدت المقطع الشعري بصوت متوتر فطلب منها أيمن أن تعيده مرة ثانية ثم ثالثة فصفق لها و صفق التلاميذ من بعده و قال :

- دراسة العلوم و الاهتمام بها ضرورة لكن هذا لا يجب أن يجعلنا نهمل الأدب.

و أضاف بعد صمت قصير :

- بالعلم نصنع الطائرات و السيارات و الهواتف و نبني الأبراج العالية و بالأدب نبني أبراج الفكر و نسمو بالنفس البشرية.

طلب من التلميذة العودة إلى مكانها ثم قال حين رجع إلى المكتب :

- في الكيمياء تتفاعل الذرات لتشكل المواد و في الشعر تتفاعل الكلمات لتشكل القصائد.

-3-

الجديدة، الحي البرتغالي
أكتوبر 2016

كانت القاعة تضج بالحضور، وصل أيمن متأخرا قليلا فدعاه المنظمون إلى الجلوس في الصف الأول، و بعد دقائق حضر الكاتب علي الحسيني و هو كاتب عراقي مقيم بلبنان تجمعه مع أيمن علاقة صداقة افتراضية على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، و هو من دعاه لحفل التوقيع هذا حيث سيوقع روايته الخامسة : على ضفة الفرات، لمح أيمن فتوجه إليه قائلا :

- الشاعر اللذيذ أيمن الخزرجي

عانقه أيمن بحرارة و قال له مرحبا :

- أهلا بك في المغرب

رد علي الحسيني :

- شكرا لك، أتمنى أن تشرفني يوما بزيارة في بيروت

رد أيمن :

- أتمنى ذلك أيضا.

فقال علي الحسيني مازحا :

- و من لا يتمنى زيارة بيروت ؟

ضحك أيمن و قال :

- الكل يتمنى ذلك

جلس أيمن بينما توجه علي الحسيني إلى الخشبة وسط تصفيقات الحضور، ثم قدم روايته و بدأ في توزيع التوقيعات على القراء، و قد

وقف أيمن أيضا ينتظر دوره للتوقيع، و حين حصل عليه عاد لمكانه و ألقى عليه نظرة : " إلى صديقي العزيز و الشاعر اللذيذ أيمن الخزرجي مع مودتي، علي الحسيني ".

عند انتهاء الحفل غادر القاعة بعدما استدعى أيمن إلى حديث على انفراد، و قال عندما اختلى به :

- هل أحضرت لي النسخ التي طلبتها منك ؟

رد أيمن :

- نعم لقد أحضرتها و بينها واحدة موقعة باسمك

ناوله أيمن الكتب فتفحصها علي الحسيني و قرأ على إحداها :" إلى الصديق و الكاتب الجميل علي الحسيني، أتمنى لك قراءة ممتعة، أيمن الخزرجي "

قال علي الحسيني :

- شكرا لك صديقي

رد أيمن و هو يقلب رواية " على ضفاف الفرات " بين يديه :

- و شكرا لك أيضا على التوقيع، سأبدأ قراءة روايتك اليوم

أومأ علي الحسيني برأسه ثم قال :

- إنني أملك مكتبة ببيروت، لذلك طلبت منك هذه النسخ، سأعرضها للبيع هناك

قال أيمن في امتنان :

- شكرا جزيلا لك صديقي، لا طالما وددت أن تباع كتبي في لبنان

رد علي الحسيني ضاحكا :

- و من لا يتمنى أن تباع كتبه في بيروت ؟

ضحك أيمن و قال :

- بيروت هي عروس الكتاب

رد علي الحسيني :

- صدقت، و سيتحقق حلمك و تباع كتبك هناك
رد أيمن :
- ممتن لك صديقي
قال علي الحسيني نافيا عن نفسه أي فضل عليه :
- أنت تستحق ذلك، موهبتك هي من ستحمل قصائدك إلى كل العرب و ليس أنا.

الفصل التاسع

-1-

البئر الجديد

فبراير 2017

الخامسة مساء، يجلس أيمن وحيدا بالغرفة التي يكتريها بالبئر الجديد، يشرب كوب شاي و يتصفح موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، أنشأ قبل شهرين صفحة سماها :" قصائد أيمن الخزرجي"، و بقليل من الإشهار في بعض المجموعات و مشاركات أصدقائه و بعض المعجبين لمنشورات الصفحة، تجاوز عدد متابعيها 6000 شخص، ينشر كل يوم قصيدة أو مقطع من ديوانه :" أناشيد الحب و الفراق" فيسجل 40 أو 50 شخص فقط إعجابه بالمنشور و يشاركه البعض منهم أحيانا على حيطانهم، نشر البارحة قصيدة هذا نصها :

فاتنة أنت ..
مثل إلهة إغريقيهْ
وجهك شمس لا تغيب عن روحي ..
و حبك في قلبي .. خالد ..
مثل نقوش سومريهْ

مثل ملحمة جلجامش ..
مثل لوحة الجوكاندا ..
مثل المعلقات العربيهْ
أحبك .. أحب روحك النقيهْ
أحب الشعر الأشقر ..
و العيون العسليهْ
و النهد المكور ..
و السيقان الفضيهْ

إني أحبك ..
فانظري إليّا
تقدمي نحوي خطوتين
و ضعي يديك الناعمتين على يديا
و اتركيني أصلي للعيون العسليهْ

و قعد الآن يقرأ التعاليق عليها :
" قصيدة جميلة "
" بودلير الجديد "
" أيمن الخزرجي قصائد جميلة بالنسبة للبعض و كفيلة بهدر دمك عند البعض الآخر "
شده التعليق الأخير فأخذ يتأمله، و قال في نفسه :
- و ماذا يهم في ذلك؟ إن كان الموت برصاصة أو سكين هو النهاية المثالية لهذه الحياة البئيسة فمرحبا به
نشر قصيدة جديدة، ثم همّ بمغادرة الفيسبوك قبل أن تستوقفه رسالة من حساب يحمل اسم : مارون كلود نجم، و هذا نص الرسالة :

" مرحبا أستاذ أيمن
اسمي مارون كلود نجم ملحن لبناني و زوج المغنية سعيدة الماجدي التي تربطك بها صداقة حسب ما قالته لي، لقد اطّلعنا على ديوانك : أناشيد الحب و الفراق، و أُعجبنا به إعجابا شديدا، و قد عبرت سعيدة عن رغبتها في غناء إحدى قصائدك.
أرجو أن تتواصل معي قريبا
مودتي
مارون "
- سعيدة ؟
تساءل أيمن مندهشا ثم أضاف بنبرة أكثر دهشة :
- سعيدة تزوجت ؟
عاد ليتأمل الرسالة و قال :
- مارون كلود نجم، إنه مسيحي، سعيدة تزوجت من رجل مسيحي و تعيش حاليا بلبنان و من المؤكد أنها اشترت ديواني من مكتبة علي الحسيني و ترغب أن تغني إحدى قصائدي.
ارتشف ما بقي في الكوب من شاي و أضاف :
- يا لمحاسن الصدف.
ثم كتب ردا على الرسالة :
" أهلا أستاذ مارون، أشكرك و زوجتك الصديقة العزيزة سعيدة على اهتمامكما بكتابي و يعتريني فرح كبير برغبتكما في تلحين و غناء إحدى قصائدي
هذا بريدي الإلكتروني aymanelkhazraji@gmail.com
أرجو التواصل معي عبره "

بعد يومين جاءه رد على رسالته :
" مرحبا أستاذ أيمن
لا داعي للتواصل عبر البريد الإلكتروني، سنأتي أنا و سعيدة لزيارتك في المغرب "
غمرته السعادة و قال :

- سأقابل سعيدة مرة أخرى ؟

ثم رفع يديه للسماء و قال :

- اللهم لك الحمد

-2-

الجديدة
مارس 2017

جلس أيمن بمقهى الياسمين يرتشف قهوة دافئة و يدخن سيجارة في انتشاء، تذكر لقاءه الأول بسعيدة، تذكر الخجل الأول و الإعجاب الأول و الرغبة الأولى و القبلة الأولى و التلاحم الجسدي الأول و الأخير، اليوم لن تأتي إليه معجبة و لن تنظر إليه في شهوة، لن يمسك يدها و يأخذها إلى البيت ليكتشف كل منهما أسرارا جديدة في جسد الآخر، إنها امرأة متزوجة الآن و ستأتي برفقة زوجها، ستأتي بصفتها مغنية و سيستقبلها بصفته كاتب كلمات، لا أقل و لا أكثر.
راقب ساعته فوجدها العاشرة صباحا إلا عشر دقائق، فعاد ليدخن و يرتشف القهوة، اعتراه شعور يعرفه جيدا فأمسك بالفنجان بيدين متصلبتين كيدي تمثال و ظل يحدق به بعينين جاحظتين كعيني ضفدع، ثم أحس أن كلاما نسخ في ذاكرته و ردده بصوت غير مسموع، ثم عاد إلى حالته الطبيعية و أخذ يدخن و يرتشف القهوة.
بعد سبع دقائق توقفت سيارة أمام المقهى فنزل منها رجل طويل القامة، أشقر الملامح تلمع عيناه الزرقاوتان تحت ضوء الشمس ثم نزلت فتاة ترتدي قميصا أبيضا و تنورة خضراء قصيرة، التفتت نحوه و ابتسمت ثم أشارت للرجل إلى مكان أيمن و توجها نحوه.
وقف لاستقبالهما فصافحته سعيدة أولا ثم صافحه مارون فدعاهما للجلوس و طلب حضور النادل، قالت سعيدة حين حضر :
- أريد قهوة سوداء

و قال مارون بلهجته اللبنانية الجميلة :
- و أنا أيضا
قال أيمن و هو يطفئ عقب السيجارة :
- تشرفت بحضوركما و تشرفت بمعرفتك أستاذ مارون
رد عليه مارون باسما :
- شكرا أستاذ أيمن
ثم أضاف :
- لقد قرأت ديوانك، و أسرتني كلماتك و لم أشعر إلا و أنا أمسك بيد سعيدة و أركب الطائرة إلى المغرب للقائك.
همّ أيمن أن يجيبه لكن منعه حضور النادل فانتظر حتى وضع الفنجانين على الطاولة و انصرف، فقال :
- لم يكن عليك أن تكلف نفسك مشقة الحضور، كان يكفي التواصل عبر الإيميل
رد عليه مارون ضاحكا :
- لم تكن سعيدة لتقبل، و قد أخبرتني أنك معتد بنفسك و شعرك و ربما لن تقبل المفاوضات من وراء جهاز الحاسوب.
ابتسم أيمن فقال و هو ينظر إليها :
- معها حق
فضحكوا جميعا و ساد بينهم صمت، سرق خلاله أيمن نظرات إلى سعيدة، لم يتغير فيها شيء، جمالها لم يمسسه سوء كأنها إلهة إغريقية خالدة، ما تزال عيونها الخضر بخير، و ما يزال نهدها المكور مثل كوكب الزهرة بخير، و ما يزال خصرها المنحوت بخير، و ما يزال صوتها الملائكي بخير حتى أنه انتشى حين سمعها تقول :
- لقد أغرمت بالديوان ككل، لكن قصيدة "أحملك في قلبي أينما ذهبت" استحوذت على كل مشاعري، و قد قام مارون بتلحينها و سجلتها في

الاستوديو.
أردفت و هي تخرج هاتفها :
- إذا سمحت لي سأسمعك التسجيل الآن
رد أيمن مرحبا بالفكرة :
- نعم بالطبع، متشوق لسماعه.
شغلت التسجيل ثم وضعت الهاتف على الطاولة فانطلقت موسيقى ذات إيقاع حزين ثم انطلق صوتها كأنه آت من فراديس الجنة :
" أحملك في قلبي أينما ذهبت
و الحب .. مثل الإيمان ..
موطنه الفؤادُ "
أغمض أيمن عينيه و نشوة السكر تعتريه، و قال في نفسه :" هل أنا من كتب هذا الكلام حقا ؟"
ختمت الأغنية :
" في كيمياء الحب
تمتزج الأرواح بالأرواح
من قبل أن تتلامس الأجسادُ "
قال أيمن حين انتهت الأغنية :
- الصوت الحسن و الموسيقى الجميلة تزيد الشعر حسنا و جمالا
أومأ مارون برأسه موافقا بينما حملت سعيدة الهاتف من فوق الطاولة، قال مارون و هو يرتشف آخر قطرة من القهوة :
- إذاً أفهم أنك موافق على التعامل معنا
رد أيمن :
- ما كنت لأرفض أن تغني سعيدة قصائدي
رفع مارون فنجانه الفارغ و قال :
- نخب هذا الاتفاق المثمر

رفع أيمن و سعيدة فنجانيهما أيضا، و قال أيمن :
- إن سعيدة مغنية رائعة و أتنبأ لها بمستقبل كبير
رد عليه مارون :
- نعم، و أنت أيضا شاعر رائع و نتمنى أن تتبوأ المكانة التي تستحقها.
وقعوا العقد بعد أن اطلع عليه أيمن،.فطلب مارون الانصراف للمرحاض
و ظل أيمن وحده مع سعيدة، ساد بينهما صمت لفترة ثم قال أيمن :
- كيف حال زواجك ؟ هل أنت سعيدة ؟
قالت :
- نعم، أشعر أنني على ما يرام
ثم سألته :
- و أنت ألم تفكر بالزواج بعد ؟ أم ما تزال تنتقل من جسد إلى آخر ؟
ابتسم ثم قال :
- و هل تتعب النحلة من الانتقال بين الأزهار الجميلة ؟
تبسمت ضاحكة من قوله و قالت :
- ما تزال مراوغا كما عهدتك.
و أضافت :
- هل لديك سيجارة ؟
رد عليها و هو يتحسس جيوبه على طريقة مفتشي الشرطة :
- نعم
أخرج سيجارة و أعطاها إياها فوضعتها في فمها و قربتها إليه ليشعلها و
قالت و هي تنفث سحابة من الدخان :
- ما زلت أحتفظ بكل تفاصيل اللقاء الأول هنا
رد قائلا :
- و أنا أيضا
ثم أضاف :

- لقد كتبت ثلاثة أبيات من الشعر حين كنت في انتظارك
قالت في استغراب :
- كتبت من أجلي
قال :
- نعم، فما زالت عيناك ملاكين يوحيان لي بالقصائد
قالت بنبرة متوددة :
- أسمعني ما كتبته لأجلي
فأنشد يقول و هو ينظر إليها كما ينظر زائرو اللوفر إلى لوحة الجوكاندا :

" هل تذكر سعيدة ملامحي ؟
أم نسيت شكلي و روائحي ؟

تمر ذكراها بقلبي دوما
كطير نورس ببحر سابحِ

عيونها زمرد .. و وجهها ..
عصفور يدغدغ جوانحي "

شربت ما تبقى من السيجارة و قالت :
- ما زلت أذكر شكلك و عطرك و ما زلت ...
و لم تكمل إذ قاطع حديثها مارون قائلا :
- لقد كان يوما جميلا أستاذ أيمن، و اسمح لنا الآن بالذهاب.
وقف أيمن و صافحه قائلا :
- تشرفت بمعرفتك و بالتعامل معك و اسمح لي أن أقول أنك ملحن

عظيم
رد مارون :
- شكرا على الإطراء
انتصبت سعيدة واقفة و صافحت أيمن ثم قالت مودعة :
- مع السلامة أيمن، اعتن بنفسك
ثم راقبهما و هما يبتعدان، ركب مارون السيارة بينما ألقت سعيدة نظرة أخيرة عليه و قالت في نفسها : "أعدك أن أحمل شعرك لكل الدنيا، أعدك أن أخلدك " ثم ركبت السيارة و رحلا، و ظل أيمن جالسا و صوتها يتردد في أذنه ممزوجا بموسيقى حزينة :
" أحملك في قلبي أينما ذهبت"

الفصل العاشر

-1-

تشير الساعة إلى الرابعة بعد الزوال، يجلس أيمن وحيدا بالبيت يشرب الشاي و ينتظر رفع فيديو كليب أغنية سعيدة على اليوتوب.
بعد أقل من ثلاثين دقيقة، رُفِعَ الفيديو فشغله مباشرة و أخذ يستمع، أغمض عينيه و أحس أنه يحلق في السماء، شغل الفيديو مرة ثانية و أخذ يرقص على إيقاعه، ثم شغّله مرة ثالثة و رابعة و خامسة حتى طُرِقَ باب غرفته فأوقف الموسيقى ثم ذهب ليفتحه، فوجد ابنة صاحبة المنزل و في يدها نسخة من ديوانه كان قد أهداها لها مع توقيعه،
خاطبها قائلا :
- ادخلي
ردت قائلة :
- لا، سأذهب
صمتت ثم أردفت :
- أتيت فقط كي أسألك
قال :
- نعم، اسألي
قالت و هي تقلب صفحات الكتاب :
- تتحدث كثيرا عن النهد، ما معنى "النهد" ؟
ضحك أيمن و أشار إلى صدره و قال :
- هذان هما النهدان.

نظرت إلى صدرها فاحمرّ وجهها حين رفعت بصرها إليه و قالت في خجل :
- شكرا على المعلومة
قال :
- لا داعي للشكر.
ثم أضاف :
- يعجبني فضولك المعرفي، تذكري دائما أن كل فضول هو مذموم ما عدا الفضول للمعرفة، و لا تخجلي أبدا من طرح الأسئلة و لا من تقديم الأجوبة مهما بدا لك ذلك محرجا فلا يوجد شيء محرج أكثر من الجهل.
أومأت برأسها ثم انصرفت قائلة :
- شكرا على كل شيء.
***

بعد أيام قليلة تضاعف عدد مشاهدي فيديو كليب سعيدة بشكل أسّي، و بلغ 15 مليون في ظرف أسبوع، و قد لاحظ أيمن أن ارتفاع عدد مشاهدات الفيديو رافقه ارتفاع في عدد متابعي صفحته على الفيسبوك إذ انتقل من 6000 إلى 70000 متابع.
و تقاطرت عليه الرسائل و التعليقات، و أصابته الدهشة حين وصله إيميل من دار الحرية للنشر و التوزيع، فقال مندهشا :

- الدار الأوسع انتشارا في العالم العربي تتصل بي ؟

ثم قرأ الرسالة :

" السيد أيمن الخزرجي

لقد اطلعنا على ديوانك "أناشيد الحب و الفراق" الذي طبعته قبل أشهر على نفقتك الخاصة، و نود إخبارك أننا مهتمون بالديوان و نرغب أن نصدر طبعة منه على نفقة الدار

في انتظار ردكم تقبل فائق احترامنا

دار الحرية للنشر و التوزيـع "

رد عليهم فورا خشية أن يغيروا رأيهم :

" السلام عليكم

شكرا على اهتمامكم بكتابي ، و لا أخفيكم سرا أنني معجب بعمل الدار و سيكون شيئا رائعا إذا صدرت طبعة من كتابي عنها

مع فائق احترامي و تقديري

أيمن الخزرجي "

بعث الرسالة ثم قال :

- و هل أنا أحمق لأرفض عرضا كهذا ؟

-2-

صدرت طبعة من الديوان عن دار الحرية للنشر و التوزيع، و نظموا له حفل توقيع بالحي البرتغالي بمدينة الجديدة و باع خلاله 51 نسخة من الكتاب.

و بعد صدور الطبعة كتبت عنه إحدى المجلات في الخليج مقالا تحت عنوان : أناشيد الحب و الفراق : قيامة بودلير، و مما جاء في المقال :

" يقول الباحث عارف حجاوي : الشعر خروج و تمرد و ما كان منه متصالحا مع المجتمع فهو الشعر الضعيف، و انطلاقا من هذه القولة يمكننا القول أن قوة الشعر تقاس بمدى خروجه عن المألوف و تمرده، و إذا وضعنا ديوان أناشيد الحب و الفراق للشاعر المغربي أيمن الخزرجي في هذه الميزان سنخرج بخلاصة مفادها أن هذا قصائد هذا الديوان من أقوى ما كتب في الشعر المعاصر، فالشاعر غير متصالح مع مجتمعه بالمرة بل يصطدم معه و يوجه له الصفعات من غير رحمة و يبدو ذلك جليا في قوله :

كفرتُ بهذا المجتمع

و بعاداته و تقاليدِه

سليت السيف من غمده

و قطّعت أوردة جيدِه

يعيبون علي أن صورت وجهه القبيح كما هو

إنني لأرفض أن أكون مكياجا

لقبحه .. لتجاعيدِه

لقد هز أيمن الخزرجي مجتمعاتنا مثلما فعل بودلير من قبل مع المجتمع الفرنسي، لذلك رأيت أن أصف هذه قصائده بأنها تمثل قيامة لبودلير "

و مثلما تحل البركة على أرض إذا زارها الأولياء و الأنبياء، حلت البركة على حياته حين طبعت دار الحرية كتابه و تضاعف عدد متابعيه حتى قارب على المليون متابع بفضل الإشهار و الترويج الذي قامت به دار النشر لديوانه في صفحاتها على مواقع التواصل الاجتماعي و التي يتابعها الملايين.

في صباح الخامس من يوليوز من العام 2017 وصلته رسالة من قناة في اليوتوب يشترك بها أكثر من 5 ملايين شخص و تابعة لقناة فضائية كبيرة، و عرضوا عليه تصوير مقاطع فيديو لقصائده بمونتاج في المستوى فوافق على عرضهم و كانت هذه أول قصيدة يسجلها :

قبل أن أعرفك ..

كنت أقول : الغرام حرام ..

و لا حب إلا حب الله و الرسول و الوالدينْ

كنت أردد : الحب شرك بالله ..

و وسوسة شياطينْ

و حين أحببتك ..

صرت أدعو الله بخشوع المؤمنينْ :

" يا رب .. يا حبيبي ..

اجعلها من نصيبي ..

بجاه الرسول الأمينْ "

حين أحببتك ..

أشعلت الشموعَ عند كل الأولياء الصالحينْ

ذرفت الدموعَ بين يدي الملائكة أجمعينْ

لعل قلب الله يلينْ

فيرفق بشكواي و نحيبي

و يجعلك من نصيبي

آمينْ

شاهد الفيديو حوالي أربعة مئة ألف شخص، و قد كانت التعليقات عليه كثيرة لذلك لم يستطع قراءتها و رجح أن معظمها تمدحه لأن عدد المعجبين بالقصيدة فاق 60 ألف بينما 20 ألف لم تعجبهم القصيدة.

-3-

يا حراس معبد الشعر ..سامحوني ..
إن كفرت بالأوزان و التفاعيلْ
و ببحر الهزج و الرجز
و البحر الطويلْ
و لم أردد كببغاء :
" على الهزج تسهيل
مفاعلين مفاعيلْ "
سامحوني ..
إن كفرت بقصص المهلهلِ
و نوادر جرولِ
و نقائض جرير و الأخطلِ ..
و كفرت بأوزان الخليلْ
سامحوني ..
إن آمنت أن قول الشعرِ
مثل غرس الزهرِ .. و رش العطرِ
و مثل تطيير الزغاليلْ
سامحوني إن رفضت الزنا بالكلامْ
و رفضت الكذب .. رفضت التدجيلْ
و استنكفت أن أكون عبدا للأصنامْ
و أن أسجد للتماثيلْ
و ما أكثر الأصنام في معبد الشعر
ما أكثر الجواري .. و العبيد المخابيلْ

يا حراس معبد الشعر .. سامحوني ..
إن اعتنقت دين الحرية
و رفضت كل إطراء أو تطبيلْ
*****
لم يهب لي القصائد النوابغ إذ مضوا
و لا ذو القروح .. و لا قيس أو جميلْ

البئر الجديد

دجنبر 2017

" إلى السيد أيمن الخزرجي
تحية طيبة و بعد
نعلمكم أنه قد تم ترشيحكم لجائزة القوافي للشعر بدولة الإمارات العربية المتحدة في دورتها الثالثة
تقبلوا فائق الاحترام
و السلام عليكم
دار الحرية للنشر و التوزيع "

- جائزة القوافي ؟
تساءل أيمن، لا ريب أنه قد سمع بالجائزة من قبل لكنه لا يملك عنه أي معلومات ما عدا اسمها و الدولة التي تمنحها.
ولج موقع جوجل و كتب : جائزة القوافي للشعر، ثم نقر على أول نتيجة بحث ظهرت و قرأ :
"تقديراً لمكانة الشعر في الوجدان العربي، ودوره الرائد في التنمية وبناء الدولة والإنسان، تقرَّر إنشاء جائزة أدبية تحمل اسم "جائزة القوافي للشعر"، وهي جائزة مستقلة، تُمنح كل سنة لأفضل الدواوين الشعرية الصادرة و التي لها أثر واضح في إثراء الحياة الثقافية والأدبية
والاجتماعية، وذلك وفق معاييرَ موضوعية. وقد تأسست هذه الجائزة بدعم ورعاية من "دائرة الثقافة والسياحة بأبوظبي."
و واصل القراءة :
" يشترط للترشح للجائزة أن يكون الديوان الشعري صادرا في آخر سنتين

و أن يتم الترشيح من قبل دار النشر لا من قبل الشاعر نفسه "
و أنهى القراءة :
" يبلغ مجموع القيمة المالية للجائزة 350 ألف دولار، يحصل صاحب المركز الأول على 200 ألف دولار و صاحب المركز الثاني على 100 ألف دولار، و صاحب المركز الثالث على 50 ألف دولار "
وضع الهاتف جانبا و قال :
- قيمة الجائزة كبيرة جدا، إذا حصلت عليها سأحقق بها الكثير مما أحلم به.
في الاثنين الأول من شهر يناير من العام 2018 أُعلن أيمن الخزرجي فائزا فجائزة القوافي للشعر، و تم استدعاؤه للحفل الذي أقيم بشاطئ الراحة بمدينة أبو ظبي، و قال في الخطاب الذي ألقاه بمناسبة فوزه بالجائزة :
" سعيد بفوزي بهذه الجائزة و أعتقد أنني أستحق ذلك، و أرى أنه بمثل هذه الجوائز يمكن الارتقاء بالثقافة في بلادنا، لأن كل شيء له جائزة تكون قيمته أكبر، حتى الإيمان بالله له جائزة لذلك قيمته رفيعة.
و ما يسعدني أكثر أن هناك دولة مستعدة لتمنح جائزة تساوي آلاف الدولارات لكاتب أو شاعر يكتب عن الحرية و عن حقوق الإنسان و عن الإنسان، و أظن أن هذه الدولة تستحق الشكر و الثناء.
أنا لا أكتب من أجل المال و لا أريد أن أحصل ثروة، فقد بدأت كتابة الشعر و أنا طفل صغير تسعده درهم يحصل عليها كل شهر، و أنا لم أتخلى في ساعة عن الشعر، بل حملت قصائدي على ظهري مثلما حمل سيزيف الصخرة على ظهره و صعدت بها للقمة، أقول هذا الكلام حتى لا يعتقد البعض أن سعادتي راجعة إلى القيمة المالية للجائزة فوالله لو كانت قيمتها درهم واحد مغربي لشعرت بالسعادة نفسها، لأن في ذلك تتويج لمجهودي و لإيماني بنفسي.
و حتى تكون للجائزة قيمة أكبر سأنشئ عبرها دار نشر من أجل مساعدة

الكتاب و الشعراء الشباب، كما سأعمل على تأسيس مجلة ثقافية تكون منبرا لكل مثقف "
****

لقد كان أيمن صادقا في ما قاله فهو لا يرغب البتة أن يعيش الكتاب الشباب المأساة التي عاشها هو، لكن و لأن المقربين أولى و فقد فكر أولا في إنقاذ عائلته من براثن الفقر، فاشترى لهم منزلا بمدينة الجديدة ليقيموا به و اشترى منزلا آخر و كراج و خاطب والده قائلا :
- قم بكراء المنزل و الكراج و اقبض ثمن الكراء لتعيل به نفسك و أهل البيت
و نقل أخته من رعي الغنم إلى الاشتغال بالحلاقة النسائية مثلما كانت تحلم حيث اتصل بصديقة قديمة له تعمل في صالون للحلاقة النسائية و عرض عليها أن يشتري لها محلا بشرط أن تعلم أخته فوافقت.
كما أخذ أمه في رحلة إلى تركيا التي بدأت تحلم بزيارتها منذ شاهدت مسلسل نور و سنوات الضياع، كانت تضحك مثل طفلة صغيرة و هي تجوب شوارع اسطنبول، و أخذت صورا كثيرة أمام آيا صوفيا و مسجد السلطان أحمد و في ميدان الخيول، و جلست بجانب أيمن أمام برج الفتاة، و أخذت تتأمل النوارس التي تطوف حول البرج و هي تبستم، و قال لها أيمن :
- يطوف حمام السلام بقلبي مثلما تطوف تلك النوارس بالبرج حين أراك سعيدة
قبلت خده و ضمته إلى حضنها، فقال :
- أتعلمين يا أمي؟ كل شيء في الحياة أساسه الحب، حتى هذا البرج بني بسبب الحب.
صمت قليلا و أضاف :

- بسبب حب ملك لابنته.
و سألها و هو يرفع بصره إلى وجهها :
- هل ترغبين في سماع القصة ؟
قالت :
- نعم، أرغب في سماع أي شيء تقوله
ابتسم و قال :
- تقول الحكاية أنه كان لملك ابنة جميلة و في عيد ميلادها الثامن عشر رأى في الحلم أن أفعى تلدغها فقرر أن يبني لها البرج كهدية في عيد ميلادها و في نفس الوقت يبعدها عن الخطر.
قالت أمه بعد أن صمت :
- و ماذا حدث بعد ذلك ؟
قال :
- مثلما يحدث في معظم قصص الحب، انتهت القصة بمأساة و ماتت الفتاة بعد أن أهداها أحدهم سلة تفاح كانت بداخلها أفعى و سمي البرج ببرج الفتاة.
ثم قال في سره :" أما قلبي فلدغته ألف أفعى حين رحلت زينب"
*****
في شهر مارس من العام 2018 أسس أيمن دار نشر سماها : منشورات أيمن الخزرجي، و أصدر مجلة أيلول الثقافية و فتح أبواب المجلة لكل من يرغب في نشر قصائد أو قصص قصيرة أو مقالات فكرية من شتى التوجهات، و استقبل عشرات الطلبات من كتاب و شعراء شباب لنشر كتبهم، و أحدث لجنة لاختيار الكتب الجيدة و نشرها على نفقة الدار.
و في تلك الفترة تعرف أيمن على زهراء الفتاة المتشعبة بالفكر الماركسي و التي تعتبر حزب اليسار الديمقراطي الذي تنتمي له المسيح المخلص للمغرب من الفاسدين السياسيين و ناهبي المال العام، كانت فتاة طويلة،

بيضاء البشرة، تبدو مثل فتى مراهق بقصة شعرها الغلامية، و ترتدي غالبا تنورة قصيرة و قميصا يكشف فتحة نهديها، و قد كانت ناقمة على حكم الإسلاميين في تلك الفترة و سمعها أيمن تقول حين التقاها أول مرة في مقهى الياسمين لما جاءت برفقة بعض أصدقائه :

- ماذا قدم لنا الإسلام السياسي سوى مزيدا من الفساد ؟

نفخ أيمن على رغوة القهوة حينها و ارتشف قليلا منها و قال :

- و ماذا سيقدم لنا اليسار إذا تسلم السلطة ؟

ردت قائلة :

- لا ريب سيقضي على الفساد و سيدعم الحريات الفردية و سيعمل على تحسين المستوى المعيشي للمواطنين

قال أيمن :

- قد وعد الإسلاميون بأكثر من ذلك من قبل، و انظري إلى وضع البلد بعد سنوات من حكمهم.

احتدم النقاش بينهما بعد ذلك، حتى أنهاه أيمن قائلا و هو يرتشف آخر ما تبقى من القهوة :

- لعنة الله على اليمين و على اليسار و على السياسة برمتها

جمعتهما جلسات و نقاشات أخرى دار معظمها حول السياسة و الأدب و الفن، و قال لها مرة و هو يحاورها :

- حاولي أن تهتمي أكثر بالأدب و الفن، فالشعوب تتعلم من كتابها و أدبائها و شعرائها و فنانيها و ليس من السياسيين، لا تعلقي أملا كبيرا على الساسة.

و أضاف قائلا :

- لا أنكر تعاطفي مع اليسار، لكني سأدعم كل من يعمل لمصلحة الوطن سواء كان يساريا أو إسلاميا، لكن لحد الآن ما رأيت خيرا من أحد.

و قال لها مرة حين أصرت أن لليسار القدرة على تغيير المجتمع :

- علينا تغيير المجتمع أولا ليتقبل فكر اليسار، عليك كمناضلة يسارية أن تقنعي المجتمع برسالة اليسار و غاياته، إذا تغير المجتمع لا شك سيتغير السياسيين، لأن الفساد السياسي هو انعكاس لفساد المجتمع ككل، فالسياسيون كما تعلمين لا ينزلون من السماء و إنما يولدون و يدرسون و يتعلمون بيننا .

و قال لها مرة و هو يتأمل فتحة نهديها :

- كل ما أتمناه أن أعيش في بلاد تمتعني بحقوقي و لا تلعنني إذا كتبت قصيدة و لا تلعنك إذا مشيت في الشارع بتنورة فوق الركبتين و شعر قصير.

توطدت علاقتهما و دعته مرة لاحتساء كأس خمر معها، فاعتذر لها قائلا :

- أنا نيتشوي المذهب، لا أشرب الخمر، كما أنني أقدس العقل و أحب أن أظل في كامل وعيي طيلة الوقت.

ردت قائلة :

- ليس بالضرورة أن تشرب حتى يذهب عقلك يمكنك الانتشاء قليلا فقط.

تبسم ثم قال :

- أجد متعة أكبر حين أسكر بالشعر

ردت ضاحكة :

- ذكرتني بقول شارل بودلير : اسكروا بالخمر أو بالشعر أو بالجنس ...

صمتت ثم أضافت :

- و ما قولك في الجنس ؟

رد قائلا :

- الجنس هو كعكة المتع

فقالت :
- وما رأيك لو تذوقنا معا من هذه الكعكة؟

*****

حين تعرت أمامه للمرة الأولى أصابته الدهشة لما لاحظ أنها قد وشمت على فخذها الأيمن جناحا و على فخذها الأيسر جناحا آخر ليبدو فرجها و كأنه بومة تبسط جناحيها، كما يوجد وشم آخر على شكل سيد يمتد من نهديها حتى سرتها، فقال لها :
- ما معنى هذا الوشم ؟
ردت قائلة :
- معناه أن جسدي ملك لي، و أن فرجي طائر حر كافر بكل الأقفاص و القيود، يحلق متى شاء و أينما شاء.
فقال لها مازحا :
- ليس عليه أن يحلق الآن لأنني أحتاجه هنا
كانت لذيذة في العناق و التقبيل و المضاجعة، اكتشف معها أيمن مرة أخرى طعم جسد الأنثى.

-3-

ارتفعت بعض الأصوات تهاجم أيمن و تسبه و كان أبرزهم شيخ يدعى "أبو إسحاق" و قد سمع عنه أيمن كثيرا و قرأ بعض التعليقات على حسابه بالفيسبوك تقول : " لقد فضحك الشيخ أبو إسحاق يا أيمن الخزرجي، و أظهر عورتك للجميع"، فلم يعد أيمن قادرا على مقاومة فضول السماع لهذا الشيخ الذي فضحه و دمره و أظهر عورته، كتب اسمه على اليوتوب ثم نقر على فيديو كان يحمل عنوان : الحداثة و رموزها : من يوسف الخال إلى أيمن الخزرجي، شغل أيمن الفيديو فانطلق صوت الشيخ الشاب :

" باسم الله و الصلاة و السلام على رسول الله، السلام عليكم مشاهدين الكرام في هذه الحلقة سنتحدث عن الحداثة و عن رموز الحداثة في العالم العربي و عن علاقتهم بالماسونية و محافلها، و يعتبر يوسف الخال أبرز الحداثيين في العالم العربي و الإسلامي بل هو أب الحداثة، ثم هناك نزار قباني و بدر شاكر السياب و محمود درويش و سميح القاسم و صلاح عبد الصبور و أدونيس و مؤخرا برز شاعر آخر يدعى أيمن الخزرجي الذي يمشي على نفس خطى الحداثيين كالسخرية من الله تعالى و الطعن في دينه و في أخلاق المسلمين و الدعوة إلى الفجور و الفسق و الرذيلة "

و واصل الشيخ :
" يقول الله تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا و الآخرة، و الله يعلم و أنتم لا تعلمون ﴾ صدق الله العظيم، سبحان الله و كأن هذه الآيات الكريمة تصف هذا

الشويعر المدعو أيمن الخزرجي الذي هز الوسط الثقافي مؤخرا بديوانه أناشيد الحب و الفراق، و قد اطلعت عليه فلم أجده إلا أناشيدا للزندقة و المجون و الإساءة لله تعالى و لدينه، و فيه من التشجيع على الرذيلة و الفسق ما لا يعلمه إلا الله، و لو كان فيه خير ما شبهوه بالفساق و الملاحدة و الزنادقة من أمثال شارل بودلير و نزار قباني، لكانوا شبهوه بحسان بن ثابت و لبيد بن ربيعة "

ضحك أيمن ثم تابع مشاهدة الفيديو :

" يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن من الشعر لحكمة، لكن شعر أيمن الخزرجي لم أجد فيه إلا الفسق و الفجور و الغزل الفاحش، يقول هذا الشويعر الملعون :

نهداك جهنمان

أقبلهما .. أبجلهما

أصلي لهما ليلا و نهارا

غفر الرب خطيئاتي

كيف صرت أنا أعبد النارا ؟

انظروا إلى فسق الرجل و جرأته على الله، يفاخر بعبادة النار و الصلاة للنهود، ألا لعنة الله على الفاسقين، و يقول في قصيدة أخرى :

أقسم بجميع الآلهة التي تؤمنين بها و لا تؤمنين

يعني أنه يجمع الله مع المسيح و بوذا و كل الآلهة الأخرى المعبودة في قسم واحد، هل هناك جرأة على الله أكثر من هذه الجرأة ؟ أليس هذا كفرا ظاهرا و إلحادا ؟

و في بيت آخر يرفع حبيبته لمرتبة الآلهة حيث يقول :

و أنك إلهة من آلهة الرومان القديمة

و يدعي أيمن الخزرجي أن لله قلبا قاسيا حيث يقول :

أشعلت الشموع عند كل الأولياء الصالحين

ذرفت الدموع بين يدي الملائكة أجمعين

لعل قلب الله يلين

لقد أعمت الشهوة عيون الرجل و أعمت قلبه و بصيرته و صار يهذي بالكلام كالسكران

و لم يكتف هذا الشويعر بقصائد الغزل الفاحش و الدعوة الصريحة للفجور و الزنا بل ذهب يسخر من عقائدنا و تاريخنا و قد قرأت له مقطعا شعريا على صفحته بالفيسبوك يقول فيه :

تناضل الشعوب ليحيا أحفادها

و نحن شعب يقاتل ليحيي أسلافه

من يقنع ناشدي السرابْ

و الملتحين .. و مقصري الثيابْ

و الحالمين بدولة الخلافه

أنه قد ولى زمن أبي ترابْ

و ابن الخطابْ

و ابن أبي قحافه

لم يسلم منه حتى صحابة رسول الله و يسخر أيضا من مظاهر التدين الإسلامي التي فعلها و أوصى بها رسول الله كإعفاء اللحية و تقصير الثياب، أما الخلافة فهي وعد من الله في كتابه العزيز إذ يقول تعالى : '

وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا و من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون'، صدق الله العظيم، و يستهزئ المدعو أيمن الخزرجي من تربية أبنائنا و أحفادنا على الأخلاق و العقائد الإسلامية، فهل يريد الشاعر الخزرجي أن نربي أبناءنا على الفسق و الفجور و الزنا؟، هل يتمنى أيمن الخزرجي أن تصبح الفتيات يمشين عاريات في الشوارع و يفقدن بكارتهن في سن العاشرة ؟ "

و تابع الشيخ :

" و من هذا المنبر نطالب علماء الدين بالتصدي لمشروع الحداثة و إنجاز البحوث عنه لإظهار حقيقة الحداثيين و ما يدعون له، كما نطالب ولاة الأمور بحماية دين الله و أعراض المسلمين و أخلاقهم و يجب أن يدركوا خطورة الحداثيين على أمن و سلام مجتمعاتنا و نطالبهم بتطبيق حكم الله فيهم لأنه كما رأينا فكفرهم و ردتهم و طعنهم في الله و دينه ظاهر للعيان، لذا يجب أن نتصدى لهم عن طريق تطبيق حكم الله فيهم مثلما فعل سلفنا مع كل مرتد و طاعن في الدين"
أوقف أيمن الفيديو و قد بدت على أساريره معالم الحزن، تأمل الوجه الأسمر و اللحية السوداء الطويلة، تأمل العيون التي احتفظت بنفس النظرة الحاقدة طيلة الفيديو، لم يكن بحاجة أحد ليعرفه بمصطفى الضاوي، و هو الذي قضى معه خمس سنوات بالجامعة تقاسما فيها كل شيء و جاعا و شبعا فيها معا، و ضحكا و بكيا فيها معا، قال أيمن في حسرة :
- هل كنت تحمل لي في قلبك كل هذا الحقد يا أخي مصطفى ؟ هل جعلت منك السلفية وحشا قاسي القلب يلعن صديقه المقرب و

يحرض عليه ؟
تذكر مصطفى قبل أن يتشبع بالفكر السلفي حين كان شابا مفعما بالحياة شغوفا بأغاني الشاب بلال و فريق الرجاء البيضاوي، و قال :
- يا حسرة عليك يا مصطفى، ألم يكن حريا بك أن تفرح لصديقك لأنه حقق حلمه ؟
كان الأسى يذبح قلبه بخنجر حاد، و لعن ذاك الرجل الذي تعرف عليه مصطفى في مسجد السلام بالجديدة، و الذي كان يسمي نفسه أبا هريرة و يعفي لحيته و يحف شاربه و يرتدي قميصا فوق الكعبين، كان يبدو و كأنه جاء للتو من القرن الأول الهجري، منذ تعرف عليه مصطفى تغير كثيرا و تحول من شاب عاشق للحياة إلى كاره لكل مباهجها، و تحول من عشق سناء الفتاة التي كانت تدرس معه بالجامعة و كانت تعتريه القشعريرة حين تمر قربه و يتأمل أردافها السمينة و هي تهتز تحت القميص، تحول فجأة من عشقها إلى عشق الحور العين.

-4-

أجرت جريدة مغربية واسعة الانتشار حوارا مع أيمن و مما جاء فيه :

الصحفي : " أستاذ أيمن الخزرجي، هل تعلم أن اسمك يليق بشاعر ؟ لقد ولدت لتكون شاعرا "

أيمن (يضحك) : " لذلك أحب أن أشكر جدي لاختياره هذه الكنية، و قد حكت لي جدتي رحمها الله القصة، فحين طُلِب من الناس في تلك الفترة اختيار كنية لهم بعضهم كان خائفا مثل جدي و قد ظل يتردد على السلطات و في كل مرة يسألونه : هل وجدت كنية؟، فيجيب : لا، و ذات مرة مع دخوله كان الدركي يسمع للراديو و كانوا يحكون قصة الأوس و الخزرج فسأله : هل أضع لك كنية الخزرجي، قال جدي و قد كان يريد فقط الخلاص : نعم، إنها كنية جيدة. "

الصحفي (ينفجر ضاحكا) : " أستاذ أيمن، لقد حظيت بشهرة كبيرة منذ صدور ديوانك، في رأيك ما سبب هذه الشهرة ؟ "

أيمن : " لا أعلم بالضبط، يجب أن تسأل الجمهور، و لكن أظن أن الناس يحبون الشعر الذي يعبر بلسانهم و عما في وجدانهم، لقد شعر الناس أنني أشبههم و أن قصائدي هم من كتبوها "

الصحفي : "كيف تنظر إلى وضع المرأة اليوم في الوطن العربي ؟"

أيمن : " لا تزال المرأة مضطهدة و حقوقها مهضومة، لذا وجب علينا النضال، كرجال أولا و كنساء من بعد ذلك حتى تحظى المرأة بكامل حقوقها و تتحرر من الأغلال و القيود التي عليها "

***

استضافه برنامج نور الكلمة الذي تذيعه قناة الثقافة الفضائية و كان الحوار كالتالي :

مقدمة البرنامج : " مشاهدينا الكرام مرحبا بكم في حلقة جديدة من برنامجكم نور الكلمة، هذه الحلقة مميزة جدا لأننا نستضيف بها شاعرا ليس كباقي الشعراء، رحبوا معي بالشاعر أيمن الخزرجي.
أستاذ أيمن أهلا و سهلا بك "
أيمن : " شكرا أستاذة ريهام سعيد بتواجدي معكم و من خلالكم أرحب بكل السادة المشاهدين "
مقدمة البرنامج : " نحن أشد سعادة بحضورك معنا، في البدء أستاذ أحب أن أسألك عن رأيك في اللقب الذي أطلقه عليك بعض النقاد و القراء و هو بودلير العرب ؟"
أيمن :" لا أملك موهبة و لا شجاعة بودلير و لكني أحب اللقب "
مقدمة البرنامج : " يتهمك البعض بأنك تتبع قاعدة خالف تعرف ؟"
أيمن :" لو كنت في بلد آخر ربما كان يمكن لذلك أن يكون صحيحا، أما في بلادنا فهذه القاعدة لا تصلح، نحن لدينا فقط خالف تُقْتل، خالف تُذْبح، خالف تُلْعن، خالف تُتّهم في عرضك و أخلاقك و وطنيتك، كما أنني أعرف الكثيرين ممن يقولون ما يرغب العامة في سماعه و مع ذلك يعرفهم و يتابعهم الملايين"
مقدمة البرنامج :" ما رأيك في بعض المشايخ و رجال الدين الذين هاجموك ؟"
أيمن :" هم على حق و أنا على باطل"
(تنظر إليه مقدمة البرنامج في استغراب)
أيمن :" هم على حق لأن لديهم لحية و يمشون مقصري الثياب أما أنا

فمجرد شاعر زنديق يتغزل بالخدود و النهود و السيقان "
مقدمة البرنامج :" بعض النقاد يرون أنك لا تكتب الشعر الحر و إنما قصيدة النثر لأن معظم قصائدك لا تلتزم بالوزن و التفعيلة، فيما يرى البعض أن قصائدك ليست شعرا حرا و لا قصيدة نثر "
أيمن :" أنا أكتب القصيدة مثلما تريد أن تُكْتَب، لا أرغمها على أخذ شكل لا ترغب به، ما يهم في القصيدة في اعتقادي هو الإيقاع و الصورة الشعرية، كما أن الالتزام بالوزن لا يعطي للقصيدة دائما موسيقى شعرية بل أحيانا يجعل إيقاعها رتيبا "
مقدمة البرنامج :" صدرت عن ديوانك ترجمات بالفرنسية و الإسبانية و الإنجليزية، هل هناك مشروع ترجمة للغة أخرى ؟"
أيمن :" نعم، تتم ترجمته حاليا إلى البرتغالية، كما هناك مشروع ترجمة إلى الفارسية في المستقبل"
مقدمة البرنامج :" ختاما أستاذ أيمن ما هو تصورك عن مستقبل الشعر ؟"
أيمن :" الشعر بخير، لا خوف على مستقبل الشعر، يذهب شاعر و يأتي آخر لكن يظل الشعر مثل الزهرة التي لا يفنى رحيقها مهما تعاقب عليها النحل، و بتعبير نزار قباني : الخمر تبقى و إن تقادم عهدها خمرا و قد تتغير الأكوابُ، الشعر مثل الخمر سيظل ينتشي به العالم أما الشعراء فيبقون مجرد أكواب لا بأس إن تغيروا أو رحلوا"
مقدمة البرنامج :" لنجعل مسك الختام شعرا، ماذا تحب أن تلقي على مسامعنا ؟"
أيمن :" أجمل دعوة يتلقاها الشاعر هي أن يطلب منه أن يلقي قصيدة، و خير ما نختم به مجلسنا هو الحب.
(يصمت قليلا ثم ينشد)

أنا و أنت روح واحدة يحملها جسدانِ

أنا و أنت نخلتان متجاورتان .. من ألف عامٍ ..

حتى قال العدا : ما بالهما لا يفترقانِ !

ضعي يدك بين يديّ ..

كطفلة عمرها شهرانِ

ضميني إليك ..

ليسقط وحش خوفك قتيلا ..

بسيف ملائكة الأمانِ

ضميني إليك ..

فإذا حضني معبد هندوسي ..

و إذا نهداك صنمانِ

مقدمة البرنامج :" قصائدك يحق لها أن توصف بالخمر لأنها تجعل من يسمعها ينتشي فعلا، مشاهدينا الكرام إلى هنا تنتهي حلقة اليوم مع الشاعر المتميز أيمن الخزرجي، نلقاكم في حلقة جديدة إن شاء الله، و أقول لكم كما قال بودلير من قبل : اسكروا بالشعر"

-5-

قاد مصطفى الضاوي حملة كبيرة ضد أيمن امتدت إلى الكثير من الصفحات على الفيسبوك التي تحمل أسماء من قبيل :

" وهم العلمانية "

" التجمع المغربي ضد العلمانية "

" فضح العلمانيين و الحداثيين "

و تصدر هاشتاج
#جميعا_من_أجل_سحب_ديوان_أناشيد_الحب_و_الفراق_من_المكتبات هذه الصفحات، و اشترى البعض الديوان ثم سجل فيديو و هو يحرقه .

كان أيمن يتابع الوضع دون أن يصدر منه أي رد فعل و لم يكتب أو يتحدث في الموضوع أبدا رغم تساؤل بعض متابعيه في صفحته على الفيسبوك أو قناة اليوتوب.

و لعل هذه الحملة قد خدمته أكثر مما أضرت به إذ ازداد عدد متابعيه بشكل كبير حتى بلغ مليون متابع بصفحته على الفيسبوك و انهالت عليه الرسائل و التعليقات و كُتبت عنه عشرات المنشورات.

كان بالبيت الذي اشتراه بالبئر الجديد يراقب سيارته رونو من النافذة و يمارس طقسه المفضل ألا و هو التفكير و شرب الشاي، فتح هاتفه الأيفون و أخذ يتصفح موقع الفيسبوك، قرأ بعضا من التعليقات على القصيدة الأخيرة التي نشرها ثم تفحص علبة الرسائل، كانت كثيرة،

إحداها من فتاة أرسلت له صورها عارية راجية منه وصفها في قصيدة، و أخرى من فتاة تقول : " كلما قرأت لك وقف شعر عانتي "، و أخرى لشاب يقول : " كل المسكرات حرام إلا قصائدك فسلمت أناملك "، ثم اهتز قلبه بين ضلوعه فجأة كمن رأى عفريتا حين قرأ:

" مرحبا أيمن، لقد منعت نفسي كثيرا من التواصل معك و لم أفلح، أعلم أنك لن تقرأ رسالتي على كل حال لكني أتمنى لو تفعل، لقد اشتقت للحديث إليك و أشعر أنني صرت حشرة حقيرة منذ تخليت عنك، لكن يسعدني ما وصلت إليه و أشعر بالفخر لأن بعض القصائد التي رفعتك لهذا المجد كتبتها عني

اعتنِ بنفسك و كن بخير دائما

زينب "

الفصل الحادي عشر

كل ما تقوله الكيمياء زيف و كذبُ

أنفس المعادن : أنت .. لا الذهبُ

الشمس و القمر خرافة كبرى ..

بنور وجهك يشرق هذا الكوكبُ

عيونك متاحف لجميع الفنون

يكاد عقل زائرها يذهبُ

جسمك مستودع لكل جمال

روحك ملاك من الرب مقرّبُ

قصيدة أنت ألقاها الرب علينا

حضنك الجنة التي بها وعدت الكتبُ

اشتغلت شاعرا خمسين ألف عام

و ما زلتُ أحاول وصفك .. و أرسبُ

-1-

الدار البيضاء

فبراير 2017

- زوجتك لا يمكنها الإنجاب سيدي

قال ذلك في حسرة و أشاح بوجهه عن زينب التي احمرت خجلا، بينما قال سعد في اضطراب :

- هل يوجد شيء لأفعله ؟

رد الطبيب و هو يصوب وضع نظاراته ذات الإطار الذهبي :

- ليس لك إلا أن تدعو الله فهو على كل شيء قدير

رد سعد بصوت خاشع :

- و نعم بالله

ثم شكر الطبيب و انصرف، بينما ظلت زينب صامتة، أرادت قول شيء يهون عليه لكنها لم تجد أي جملة مناسبة، قالت في نفسها : " لطالما حلمت أن يكون لي طفل لكن ليس من زواج كهذا "، و أضافت و هي تراقب الأشجار التي تبدو و كأنها تركض عكس اتجاه السيارة : " لعل لله حكمة في الموضوع ".

وصلا إلى بيتهما بالبئر الجديد و سعد صامت لا يملك القدرة على الكلام، ربما يفكر في الزواج من امرأة ثانية تنجب له طفلا بينما يبقي

عليها هي للمضاجعة فقط، قالت في نفسها : " إن تزوج ثانية سأمنحها ليلتي أيضا "، غير أن سعد لم يلمح أبدا للزواج من امرأة أخرى و قال و هو يربت على كتفها :

- لا تحزني يا زينب هذه مشيئة الله

ردت بلهجة قاطعة :

- لست حزينة

قبل أن تتدارك :

- لأن هذا قدر الله، و الله لا يقدر شيئا إلا فيه حكمة

رد قائلا :

- نعم صدقت

و أضاف :

- المال و البنون زينة الحياة الدنيا و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا و خير أملا

حاولت معرفة ما يفكر به حول الزواج من امرأة ثانية فقالت :

- الله أتاح لك إمكانية الزواج من امرأة أخرى و أنا لن أحرمك من الإنجاب

صمت قليلا ثم قال :

- لا تفكري بالموضوع الآن

كان جوابه غامضا، ما معنى أن لا تفكر بالموضوع الآن ؟ هل يعني هذا أنه سيفكر به لاحقا ؟، لكن لماذا تشغل نفسها بهذه الأسئلة ؟ فهي

تعلم أنه لو أراد الزواج من ثانية و ثالثة لفعل حتى و إن أنجبت له 12 طفلا.

برغم كل شيء كانت تمني النفس بطفل يملأ حياتها و يخلصها من روتينها القاتل، ما أتعس حياة الإنسان حين تصبح كل أيامه متشابهة.

كان روتينها اليومي أن تستيقظ فجرا فتصلي ثم تقعد مدة من الزمن تدعو إلى الله و تستغفره و تحضر فطور الصباح بعد ذلك و تشاركه مع زوجها ليغادر البيت سواء إلى العمل أو إلى لقاء أحد أصدقائه بينما تمكث هي تنظف و توضب الأثاث على صوت المقرئ ماهر المعيقلي و هو يتلو آيات القرآن بصوته الرخيم الذي يعرج بالروح إلى السماء ثم تحضر الغذاء و تأخذ قيلولة خفيفة.

" سماع الموسيقى بالبيت ممنوع "

" مشاهدة الأفلام بالبيت ممنوعة "

" الخروج من البيت من دون إذن و من دون نقاب ممنوع "

كانت هذه شروطه منذ البداية، تذكر أول يوم خرجت فيه بالنقاب، استيقظت صباحا فوجدت ثوبا أسودا على سريرها، تناولته بين يديها، قامت بارتدائه ثم وقفت أمام المرآة كانت عبارة عن كتلة سوداء لا يظهر منها إلا عيناها العسليتان، اتصلت لتخبره بخروجها إلى الدكان فقال :

- أحضري ما ترغبين به و عودي إلى البيت.

خرجت للشارع، شعرت أنها شخص غريب و تذكرت قول جوليا كريستيفا الذي قرأته في درس الفلسفة بالبكالوريا : " الغريب هو الذي يسكننا على نحو غريب "، سارت نحو الدكان فمر بها شابان و قال أحدهما متحرشا بها : " اللهم ارزقنا فتاة منقبة توقظنا لصلاة الفجر "،

كانت تحس أنها تسير في الشارع من غير وجه، من غير روح، كانت مجرد جسد يخبئه ثوب أسود كي لا يطلع الغرباء على مفاتنه، لكنها في الوقت نفسه أحبت أن تمشي بين الناس دون أن يتعرف عليها أحد كأنها كائن غير مرئي، في طريق عودتها رأت الشاب الذي تحرش بها قبل قليل يقف برفقة شابين آخرين تبدو عليهما مظاهر التدين و سمعته يقول :

- لو تنقبت كل النساء مثل هذه السيدة لاختفى التحرش

ضحكت في سرها و واصلت السير نحو البيت.

-2-

ظلت تتردد على الأطباء أملا في العلاج، و في إحدى زياراتها لأحد الأطباء التقت امرأة على مشارف أربعينية كان برفقتها زوجها و قد بدا رجلا فظا غليظ القلب و واضح أنه لا يحب فكرة المجيء معها و لا يحبها هي نفسها.

قالت المرأة مخاطبة زينب :

- شفاك الله يا ابنتي

ردت قائلة :

- آمين، شفانا الله و إياك

فقالت المرأة :

- ماذا أخبرك الطبيب ؟ إن شاء الله لا يوجد أمر يدعو للقلق

ردت زينب :

- لا أستطيع الإنجاب.

زمت المرأة شفتيها و قالت :

- المسكينة

و أردفت زينب :

- زرت أطباء كثر من دون فائدة

ردت المرأة بصوت كله ثقة :

- و ماذا سيفعل لك الأطباء يا ابنتي ؟ الأمر كله لله

ثم أضافت بعد صمت قصير :

- سأدلك على وصفة جربيها و سيمنحك الله الأولاد إن شاء الله، لقد جربتها امرأة و أنجبت بعد سبع سنوات من العقم

قالت زينب بنبرة لا تخلو من الاستغراب :

- و ماهي هذه الوصفة ؟
قالت المرأة بصوت أشبه بالهمس :
- اطلبي من أمك أو أي امرأة من أقاربك أو إحدى جاراتك أن تسرق دجاجة ثم تذبحها و تطبخها بزيت الزيتون و بعض التوابل
كتمت زينب ضحكتها و تابعت المرأة بصوت أعلى قليلا :
- ثم تبيتها ليلة تحت النجوم و في الصباح استيقظي و استحمي دون أن تفطري ثم تأتيك بالدجاجة بغثة دون أن تطلعك على وقت حضورها بالضبط و كلي منها أكثر ما تستطعين و سيجعل الله بعد ذلك أمرا و يرزقك بالذرية
أومأت زينب برأسها و قالت و هي تقاوم ضحكتها :
- سأجربها إن شاء الله
ساد بينهما صمت لفترة ثم قالت المرأة :
- تبدين متعلمة.
ضحكت زينب و قالت :
- نعم لدي الإجازة
قالت المرأة :
- هل تشتغلين ؟
ردت زينب :
- لم أعثر على عمل بعد
تأملت عينيها قليلا و سرت في جسمها قشعريرة حين شعرت أنها تعرف هاتين العينين من قبل، و قاطعت المرأة تأملها قائلة :
- ابني أيضا حاصل على الإجازة
ردت زينب :
- تبارك الله، في أي تخصص ؟
ردت المرأة :

- والله لا أعلم
ثم أضافت :
- كما أن ابني شاعر معروف
قالت زينب في تعجب :
- شاعر ؟
قالت المرأة :
- نعم،.شاعر
سألتها زينب في فضول :
- ما اسمه ؟
ردت المرأة بنبرة لا تخلو من فخر :
- أيمن .. أيمن الخزرجي
تجمد الدم في عروق زينب، و فغر فاها و اتسعت أحداقها، ثم قالت متسائلة :
- هل أيمن ابنك ؟
قالت المرأة :
- نعم، هل تعرفينه ؟
قالت زينب :
- و من لا يعرفه !
توردت وجنتا المرأة و قالت في فرح طفولي :
- الطبيب أيضا أخبرني أنه يعرفه
عادت زينب لتتأملها و لامت نفسها لأنها لم تر في عينيها عيني أيمن و همّت أن تقول شيئا لولا أن قاطعها زوج المرأة بصوت جهور :
- هيا بنا نذهب
وقفت المرأة ثم ودعتها قائلة :
- أتمنى من الله أن يشفق عليك و يرأف بك

ردت زينب :
- آمين، جزاك الله خيرا
ودت لو تمسك بأطراف ثوبها و تستبقيها معها لدقائق أخرى، و فكرت بعد أن انصرف والدا أيمن : " كيف لامرأة بدوية بسيطة و أمية تؤمن بكل أنواع الخرافات أن تنجب شاعرا متمردا مثل أيمن ؟ و كيف لرجل غليظ القلب و خشن الطباع أن ينجب شاعرا مرهف الإحساس مثل أيمن ؟
صمتت ثم أضافت :
- يا لغرابة الحياة
و استغرقت في التفكير حتى قاطعها سعد قائلا :
- لماذا تبكين؟
رفعت إليه رأسها في دهشة و كأنها لا تعلم أنها كانت تبكي ثم مسحت أدمعها فجلس سعد بجانبها و قال :
- لا تقنطي من رحمة الله و لا تيأسي، ألم يرزق الله سارة ابنا و هي عجوز عقيم ؟
أومأت برأسها و قالت :
- و نعم بالله
ربت على كتفها ثم قال :
- هيا بنا لنعود إلى البيت

-3-

ظلت كلمات أم أيمن تتردد في عقل زينب : " الطبيب أيضا أخبرني أنه يعرفه" و تساءلت في نفسها : " هل صار أيمن مشهورا حقا أم الطبيب صديقه فقط ؟ ".

في صباح اليوم التالي حين غادر زوجها تملكها الفضول في البحث عن أيمن، لكنها ترددت و شعرت أنها ربما تخون زوجها بهذا الفعل لأنه اشترط عليها أن لا يكون لها حساب فيسبوك و وافقت، قالت في نفسها : " لن أتواصل مع أحد فقط ألقي نظرة و أحذف الحساب ".

قامت بإنشاء حساب بسرعة و يداها ترتعشان ثم بحثت عن اسم أيمن الخزرجي فوجدت صفحة تحمل اسم " شعر أيمن الخزرجي " يتابع أكثر من مليون شخص، فغر فاها و ثم نقرت على الصفحة فتجلى له وجه أيمن و على الواجهة كانت صورة لديوانه، تجولت بين منشورات الصفحة التي كانت كلها عبارة عن قصائد أو مقاطع شعرية، مرت عليها ساعة و هي على تك الحال دون أن تشعر ثم نقرت على الصور و أخذت تتفرج عليها، كان بعضها لأيمن و هو يلقي الشعر و أخرى له و هو يتسلم جائزة و صور مع بعض أصدقائه و صور من حفل توقيع، قالت و كأنه تخاطبه :

- لقد أصبحت مشهورا

مررت أصابعها على إحدى صورها قبل أن تستعيد رشدها و تقول :

- أستغفر الله

و أغلقت الهاتف، ثم عادت تفتحه و دخلت إلى علبة الرسائل و همّت أن تكتب له لكنها تراجعت و وضعت الهاتف جانبا، و أخذت تقطع الغرفة جيئة و ذهابا، و هي تقول كأنها تمارس لعبة القمار :

- أبعث له، لا أبعث ، أبعث له، لا أبعث له

ثم انقضت على الهاتف كأنها ضبع جائع و كتبت الرسالة بسرعة دون أن تفكر ثم بعثتها و حذفت الفيسبوك و رمت الهاتف و جلست تفكر : " هل فعلت شيئا سيئا ؟، ماذا إن قرأ الرسالة و اتصل بي؟ لا لا محال، فهو يتابعه مليون شخص و لا بد أن مئات الرسائل تصله في اليوم، علي التوقف عن التفكير الآن و أذهب لأحضر الغذاء "

-4-

جاء الصيف و أصبح سعد يقضي معظم وقته بالبيت، و صارت زينب قلقة حين صار عمها يتردد على البيت في كل وقت و أصبح يقضي مع سعد وقتا طويلا في غرفته يتحدثان، لم تعد تجد راحتها في البيت و لم يعد في إمكانها ارتداء ما تشاء، صارت فقط تطبخ لهما الطعام ثم تأخذه لهما عند كل وجبة و قد حاولت أحيانا أن تسترق السمع لكن خوفها من اكتشاف أمرها و العواقب المترتبة عن ذلك جعلها تعدل عن ذلك، ذات يوم سمعت سعد يقول لعمها :

- هل تعرف ما تقول يا عمي ؟ إن الأمر خطير

فرد عمها :

- هذا حكم الله و شرعه و يجب تطبيقه

ظنت أنهما يتحدثان عن زواجه الثاني فقاطعتها بطرقات على الباب ثم وضعت الشاي أمامهما متظاهرة أنها لم تسمع شيئا.

ظل عمها يتردد عليهما لعشرين يوما ثم انقطع المجيء، في حين أصبح سعد يتغيب كثيرا عن البيت و أحيانا يعود في وقت متأخر.

-5-

بعيدا عن البئر الجديد بحوالي 15 كلم، كان الشيخ أبو عبد الرحمان يخطب في جماعة من الرجال الملتحين و نساء منتقبات :

" أيها الناس !

أنتم جنود الله على أرضه، أرضه التي التي ملئت فسادا و ظلما و كفرا، فأينما وليت وجهك تجد حاكما فاسدا أو وزيرا سارقا أو مغنيا عاهرا أو شاعرا فاسقا يهزأ بالله و بآياته.

أيها الناس !

يقول الله تعالى في كتابه العزيز : " و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله "، ألا إن الفتن قد أقبلت كقطع الليل المظلم، فإن لم نجاهد لنصرة الله و دينه فلننتظر عذابه و غضبه.

أيها الناس !

يقول الله تعالى في كتابه الحكيم : " و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون "، من يعارض شريعة الله و حكمه و يدعو للديمقراطية و للحكم بالشرائع الأرضية فهو كافر بنص كتاب الله، و قد سمعتم جميعا ما قالته الأمينة العامة لحزب اليسار الديمقراطي حين ظهرت متبرجة على التلفاز و العياذ بالله لتقول : " من يريد تطبيق الشريعة فليعد إلى القرن السابع الهجري "، أليس هذا كفرا ظاهرا بآيات الله و أحكامه ؟ أليست هذه حرب على الله و رسوله و دينه ؟ و ما حكم من يحارب الله و رسوله؟ يقول تعالى " إنما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم و أرجلهم من

خلاف أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم خزي الدنيا و لهم في الآخرة عذاب عظيم "

أيها الإخوة المؤمنون، إن لم ننصر الله و دينه فانتظروا أن يمطر علينا حجارة من السماء أو يأتينا بعذاب أليم.

أيها المؤمنون يقول تعالى " و قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة " فلتقاتلوا أيها الإخوة و جاهدوا بأنفسكم و أموالكم في سبيل الله و لا تتولوا مدبرين و " اقتلوهم حيث ثقفتموهم و خذوهم و احصروهم و اقعدوا لهم كل مرصد "

أيها المؤمنون إن الجهاد ذروة سنام الدين، فجاهدوا في الله حق جهاده و لا تموتن إلا و أنتم مسلمون "

ثم صاح : " الله أكبر "

و تعالت الصيحات من بعده : " الله أكبر، الله أكبر "

الفصل الثاني عشر

السكنى في بيروت أشبه بالسكنى في الجنة، فكأن هذه المدينة بنتها الملائكة و وضع الله يده عليها و قال : كوني مدينة الفن و الشعر و الموسيقى و السلام، كوني مدينة المعجزات و تحقق النبوءات و الأحلام، هذا ما أحست به سعيدة منذ قدومها إلى بيروت منذ عام، لقد فتحت لها هذه المدينة نافذة نحو المجد و الشهرة، كانت بيروت مثل مئذنة رفعت منها صوتها الجميل إلى كل الوطن العربي، و كان شعر أيمن الخزرجي مثل أذان بالحب و الجمال رسّخ صوتها في كل النفوس حتى صارت أغانيها رمزا للثقافة و العمق إلى جانب القهوة و الكتب و أغاني فيروز.

غنت لمحمود درويش :

" و أنت تعد فطورك، فكّر بغيرك

لا تنس قوت الحمامْ

و أنت تخوض حروبك، فكّر بغيرك

لا تنس من يطلبون السلامْ "

و غنت لنزار قباني :

" يا سيدي العزيز

هذا خطاب امرأة حمقاءْ

هل كتبت إليك قبلي امرأة حمقاءْ ؟

اسمي أنا ؟

دعنا من الأسماءْ

رانيا .. أم زينب

أم هند .. أم هيفاءْ

أسخف ما نحمله يا سيدي الأسماءْ "

و غنت للشاعر اللبناني مهدي منصور :

" ما همتُ عشقا ما رميت بأسهمِ

لكنهم رحلوا عميقا في دمي

يا ليت من كتبوا مواثيق الهوى

جعلوا الرحيل على الفتى بمُحَرّمِ "

و غنّت لأيمن الخزرجي :

" أحملك في قلبي أينما ذهبت..

و الحب .. مثل الإيمان..

موطنه الفؤادُ

مشاعري تظل راسخة شامخة .. مهما اضطربت..

و للمشاعر .. كالأرض .. أوتادُ

حبك حلم ليس يفسر..

ملحمة عظمى ليست تعادُ "

أَحْيَت الكثير من الحفلات ببيروت و القاهرة و الرباط و قرطاج و الشارقة و وهران، و صار لها جمهور غفير في كل العالم يتابع أخبارها و ينتظر أغانيها الجديدة.

ذات صباح من شهر غشت عام 2018، كان زوجها مارون يشاهد الأخبار على التلفاز فدخلت هي تحمل صينية بها كوبان من القهوة، و فجأة تجمدت في مكانها عندما سمعت مقدمة الأخبار تنطق بالخبر، ثم خذلتها يداها فسقطت الصينية على الأرض .

الفصل الثالث عشر

ضائعا في بحر لا ضفاف له

أجدف وحيدا ..

لا تدعمني أشرعة ولا قلوعْ

جائعا للخلودِ .. أمضي ..

لا ألتفت للوراء ..

لا أفكر بالرجوعْ

ليسَ في الوراءِ .. غيرُ الفناءِ

غير الريـح .. وطوفان الدموعْ

مات أنكيدو ..

أنكيدو ماتْ .. ومات الرجاءُ

سقطت أسوار أوروك على رأسي

ضاقت عليّ نفسي

ضاقت علي السماءُ

قُطع ساعدي .. وكُسرت الضلوعْ

هذا البحر لا ضفاف له .. فأين المستقرُّ؟

هذا الحزن لا ضفاف له .. فأين المفرُّ؟

حرامٌ على قلبي الأفراح جميعُها ..

وكل هوى ممنوعْ

جائعا للخلود .. أمضي ..

لا ألتفت للوراء .. لا أفكر بالرجوعْ

لا إلهَ في سومَرْ ..

يُنبت ثانيةً ساعدي المقطوعْ

الجديدة

غشت 2018

" لقد أعطاني القدر أكثر مما كنت أحلم به، الشهرة و المال و كل شيء، لكن هل أنا سعيد ؟ ماذا لو خيرني الله بين كل هذا و بين الزواج من زينب و العيش معها بخيمة في أحدى القرى النائية ؟ أطبخ لها صباحا قصيدة و في الليل أحاور جسدها ؟ ماذا كنت سأختار؟ لا أعلم "

كان أيمن يجلس وحيدا في بيتهم في الجديدة بعدما ذهب أهله لقضاء الصيف في قرية ولاد سالم، كان يستمع إلى أغنية " أنا و ليلى " لكاظم الساهر، و كان يغني معه في صوت كئيب كأنه صوت تحطم روحه :

" نفيت و استوطن الأغراب في بلدي

ودمروا كل أشيائي الحبيبات ِ

خانتك عيناك في زيف و في كذب

أم غرّك البهرج الخداع مولاتي "

دخّن السيجارة العشرين ثم أخرج هاتفه و همّ أن يتصل بزهراء، لكنه تراجع و ردّد في نفسه بيتا لنزار قباني : " الجنس كان مسكنا جربته، لم ينه أحزاني و لا أزماتي ". و فكّر بعد ذلك أن يأخذ جولة في البحر فقال في سره : " لطالما كان البحر صديقا لي، فلأذهب إليه و أشكو له همومي ".

كان يعتريه حزن غريب، كذاك الحزن الذي يعترينا حين نهم بمغادرة مكان نحبه أو حين نجبر على المكوث في مكان لا نحبه، وقف طويلا أمام البحر، و كان هذا طقسا من الطقوس التي يجد راحة و هو يمارسها،

أحس برغبة في قول الشعر فأخذ يفكر : " قَرْرِبا كَأْ : فَاعِلاتُنْ سَ لْخَمْرِ
مِنْ : مُسْتَفْعَلُنْ نِي قَلِيلَا : فاعلاتن "
كرر بصوت مسموع :
- فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن
ثم أضاف :
- إذن القصيدة تريد أن تُكتب على البحر الخفيف
كرّر الشطر في نفسه : " قربا كأس الخمر مني قليلا " ثم أكمل النظم في
خياله : " فِي فُؤَادي : فاعلاتن، حُزْنُنْ بِحَجْ : مستفعلن، مِ لْجِبَالِ :
فاعلاتن "
و كرر الشطر في نفسه :" في فؤادي حزن بحجم الجبالِ"
ثم أكمل القصيدة فكانت كالتالي :

قَرّبا كأس الخمر مني قليلاَ
في فؤادي حزن بحجم الجبالِ

لست أملك صاحبا أو خليلاَ
عن يميني الفراغ و عن شمالي

صار جسمي عودا و نايا نحيلاَ
من يراني .. لا ريب .. يرثي لحالي

قَرّبا كأس الخمر مني قليلاَ
ربما السكر منقذي من ضلالي

ففؤادي قاسى عذابا طويلاَ
ويكأنه لا يشفق الله لحالي

أراد كتابة القصيدة فتفحص محفظة كان يحملها لكنه لم يجد بها قلما، راقب ساعته فوجدها العاشرة و النصف ليلا فقال في نفسه :
- أظن أن علي العودة للبيت الآن.
تأمل البحر لثوان أخرى ثم استدار و غادر، سار باتجاه سيارته قبل أن توقفه فتاة قائلة :
- أخي هل يمكنك مرافقتي في الطريق؟، لقد خشيت على نفسي و الوقت متأخر كما ترى.
تفحصها قليلا، كانت في مثل طوله، حسناء الوجه، ترتدي حجابا يبدو أسودا تحت ضوء الشارع الخافت، رد عليها قائلا :
- إلى أين تريدين الذهاب؟
قالت :
- إلى حي سيدي موسى
رد قائلا :
- تعالي أوصلك بالسيارة
قالت معترضة :
- لا يا أخي لا يمكنني ركوب سيارة مع شخص غريب
ثم أضافت :
- إن لم يكن لديك وقت فلا بأس سأذهب وحدي

قال :
- لا لا انتظري، سأرافقك.
سارا معا يتبادلان أطراف الحديث، فطلبت منه أن يسلكا طريقا مختصرا كي يصلا بسرعة بحجة أنها لا ترغب أن تضيع الكثير من وقته فوافق، سارا لمائتي متر ثم بلغا مكانا مظلما من الشارع، تذكر أنه كان به مصباحا حين مر به قبل أيام، و بينما هو يفكر إذ داست رجله بقايا زجاج، رفع بصره فلاحظ أن المصباح محطم فقال في نفسه :
- لا بد أن أحدهم حطمه عمدا
و فجأة توقف و قال للفتاة :
- هل يمكننا تغيير الطريق ؟
فظهرت عليها علامات الاضطراب و قالت :
- هذا الطريق مختصر، لا أريد أن أضيع وقتك
نظر نحوها دون أن يتبين ملامحها و قال :
- أفضل أن أخسر بعض الوقت على أن أخسر أشياء أخرى
قالت مازحة :
- هل تحمل مليون دولار في تلك المحفظة ؟
رد عليها بلهجة قاطعة :
- الآن أنت تضيعين وقتي.
ثم خيّرها قائلا :
- إما أن نغير الطريق أو اذهبي لوحدك
و همّ بالعودة فسمع خطوات تتقدم نحوهما، بدأ بالتراجع للخلف دون أن يلتفت و لاحظ أن الفتاة تبدو و كأنها تترقب مجيء شخص ما، ثم لاح له طيفان تحت جنح الظلام يركضان نحوهما فاستدار و أطلق ساقيه للريح، و لم يجري سوى بضع خطوات قبل أن يصطدم به جسد ضخم من جهة اليسار فارتطم جسمه بالأرض بعنف حتى شعر أن كتفه

كسرت، وظف ذراعه الأيسر عكازا و وقف فوجد أمامه شابا ضخم الجثة، عريض المنكبين، تبدو ذراعاه بحجم عمود الكهرباء الذي ينتصب خلفه كرجل فقئت عيناه فصار كل ما حوله ظلاما.

خاطب ضخم الجثة أيمن قائلا :

- تدافع عن المرأة بلسانك و حين وُضعت أمام اختبار حقيقي تركتها و هربت ؟

قال أيمن بأنفاس متقطعة :

- إنها معكم، هل تظن أنني غبي ؟

رد عليه ضخم الجثة قائلا :

- لست غبيا يا بودلير العرب

رد أيمن متسائلا و هو يضغط على مخرج كل حرف :

- من أنت ؟

فجاءه صوت من خلفه :

- إنه فاعل خير أتى ليخلص المسلمين من شرّك

التفت خلفه مذعورا إذ لم يعلم متى وصلوا عنده دون أن يشعر، كانوا ثلاثة : شابان و الفتاة التي جاءت به إلى هنا، فخاطبها قائلا :

- لقد خدعتني

ردت قائلة :

- الحرب خدعة

تساءل مستغربا :

- و متى حاربتك ؟

ردت قائلة :

- حربك على ديني و عقائدي هي حرب علي

رد عليها قائلا :
- دينك؟ أي دين هذا؟ الذي جعلك تخدعين إنسانا خشي عليك الأذى ؟
لم تنبس بكلمة، فقال لها :
- هل سبق لك أن قرأت شيئا من كتاباتي ؟
ردت قائلة :
- لا
فقال :
- و كيف تعرفين أنني أحارب دينك و عقائدك ؟
ثم أضاف و كأنه قال بيتا من الشعر :
- و جاءك الفسّاق بنبأ عني
فلعنتني دون دليل أو شهودِ
صمتت الفتاة فتدخل أحد الشباب قائلا :
- اقطع لسانك قبل أن أقطعه لك
ثم قال ضخم الجثة :
- لننجز المهمة و نرحل
تساءل أيمن في ذعر :
- أي مهمة ؟
أخرج ضخم الجثة سكينا من الحجم الكبير فتسارعت أنفاس أيمن و بلغ قلبه حنجرته، و رفع البقية أيضا سكاكينا و أحاطوا به من كل جانب، كان يقف بينهم لا يملك أي سلاح ما عدا أفكاره و قال مخاطبا إياهم بصوت مرتفع :
- لن تفلح أمة تواجه الأفكار بالسكاكين

تحسس محفظته و بحركة رشيقة أخرج منها مقصا و في لمح البصر طعن ضخم الجثة في ذراعه بكل قوته حتى صرخ و أسقط السكين أرضا، فجاءته طعنة غادرة في خاصرته و سقط على ركبتيه و سدد له ضخم الجثة ضربة قوية بركبته على وجهه حتى سقط على ظهره، ثم قاوم بما تبقى لديه من طاقة و استعاد وضعية الجلوس على ركبتيه و تمتم بكلام غير مفهوم، فقربت منه الفتاة أذنها و همس لها فرفعت رأسها و قالت :

- يقول أنه كتب قصيدة و هو في البحر و يطلب السماح له بكتابتها إن كنتم ستقتلونه لأنه لا يريدها أن تفنى معه

ضحك الثلاثة ثم سدد له أحدهم ضربة على ظهره حتى سقط على وجهه ثم قال له :

- أيها الملعون، ألا تعلم أن الشعر من قادك لهذا المصير ؟

حاول أن يستعيد وضعية الجلوس على ركبتيه فلم يستطع و شعر بيد تمسك بأنفه و تجذبه بعنف إلى الأعلى، ثم شعر بركبة تثبت ظهره و جُرّ رأسه للخلف أكثر ليبرز عنقه و رأى سكينا ترفع في مستوى بصره، ثم تلى أحدهم : "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ "

همّ بذبحه فرفع يده طالبا منه التوقف و تمتم من جديد بكلام غير مفهوم فقرّب منه الشاب رأسه فهمس له :

- أريدها هي أن تفعلها

التفت ذلك الشاب للفتاة و قال :

- يريدك أنت أن تفعليها

اضطربت الفتاة و قال ضخم الجثة :

- هل سنبدأ في تلقي الأوامر منه، هيا أنجز المهمة

فأوقفته الفتاة قائلة :
- لا بأس، دعني أفعلها
اقتربت منه و أمسكت بأنفه ورفاقها يثبتونه ثم همست له :
- لماذا طلبت ذلك ؟
قال بصوت ضعيف :
- لطالما ذبحت قلبي النساء، فلا بأس أن تذبحي عنقي امرأة أيضا
ترددت قليلا ثم استعادت رباطة شأجها و قالت :
- باسم الله
أحس أيمن بالسكين الحاد يمر على عنقه بعنف و رافقه صوت انفجار قوي اندلع من مكان قريب، و هتافات :" الله أكبر، الله أكبر "، ثم سقط على وجهه غارقا في دمائه، قبل أن يسكن جسده عن الحركة تماما، و قد امتدت دماؤه مشكلة بقعة كبيرة.
ركض منفذو العملية تحت جنح الظلام بينما تجمدت الفتاة في مكانها تتأمل الجثة ثم مدت يدها إلى المحفظة و فتشتها فوجدت بها كتابا قرأت بصعوبة عنوانه : أناشيد الحب و الفراق، شعر أيمن الخزرجي، و تذكرت قول أيمن :
- كيف عرفت أنني أهاجم دينك و عقائدك و أنت لم تقرئي لي ؟
طوت الكتاب ثم دسته بين نهديها دون أن تعير اهتماما لصورة قد سقطت منه ثم ركضت لتلحق بالبقية

الفصل الرابع عشر

-1-

الثالثة فجرا، و لم يعد سعد بعد، كانت زينب تتقلب في السرير و هي غارقة في التفكير، من أين يأتي النوم حين تحاصرها الكوابيس و أشباح الأخبار السيئة ؟، قامت ثم توجهت إلى المطبخ و شربت كأس ماء و عادت إلى السرير، منذ تزوجت و طريقها يمتد من المطبخ إلى السرير، من السرير إلى المطبخ : الطعام و الجنس، الجنس و الطعام، ما أتعس زواجا كهذا الزواج !

لكن لماذا هي قلقة الآن لأنه لم يأت؟ أتراها ألفت النوم في حضنه؟ أتراها أدمنت على شفتيه و لمساته ؟

إنها ليلة الخميس حيث اعتاد أن يحرث جسدها مثل ثور هائج ثم يغتسل في الصباح غسل جنابة و يتوجه لصلاة الجمعة محاولا التمثل بالحديث النبوي الذي يقول :" مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ".

اتصلت به للمرة العشرين و لم يجب، فألقت بالهاتف في غضب و ازداد قلقها، فكرت ربما أنه يضاجع امرأة أخرى فاهتزت مشاعرها و قالت :" أنا التي أزعم أنه إن تزوج امرأة أخرى أمنحها ليلتي أخاف من مجرد التفكير أنه يضاجع أخرى ! "

تعلم أنها لا تحبه لكنها أدمنت عليه، أدمنت وجودها معه على هذا السرير، و كانت تشعر برغبة شديدة في ممارسة الجنس، تذكرت قول أيمن :" الجنس هو ذروة سنام الزواج "، و فكرت إن هجرها سعد في

المضجع هل يمكنها أن تصبر على ذلك ؟
مرت ساعة و هي على تلك الحال فلم تعد قادرة على مقاومة رغباتها، قامت و نزعت كل ملابسها، أشعلت نور الكهرباء و وقفت أمام المرآة العملاقة المنتصبة بجوار دولاب الملابس، فتأملت جسمها و تحسست نهديها و فرجها في شهوة، ثم ألقت بنفسها فوق السرير و بللت أصبعها و أخذت تفرك فرجها و هي تتأوه، لقد أدمنت على الجنس حقا، إننا ندمن على فعل الأشياء الجميلة حتى و إن فعلناها مع الأشخاص الخطأ و في الوقت الخطأ.
ظلت تفرك فرجها في شهوة و هي تتخيل أن رجلا ما يضاجعها لكنه لم يكن سعد بل كان أيمن.

-2-

رن المنبه عند الثامنة كما اعتاد أن يفعل، فبعث الروح في جسدها و أفاقت، وجدت نفسها عارية تماما و كل ما حولها مبلل بمائها، لم تتذكر كم مرة أفرغت شهوتها ليلة البارحة لكن فيضان الماء حولها ينبئها أنها فعلتها مرات عديدة.

استوت على ساقيها و شرعت في ارتداء ملابسها، ثم توقفت فجأة حين تذكرت أنها فكرت بأيمن أثناء استمنائها و ليس بزوجها فأخذ قلبها ينبض بقوة و قالت :

- أستغفر الله، أستغفر الله.

ركضت نحو الحمام فاغتسلت ثم فرشت السجادة على الأرض و صلت ركعتين و دعت :" اللهم إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي، اللهم إني خنت زوجي في مخيلتي فاغفر لي، يا ساتر العيوب و الذنوب لا تفضح ذنبي، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"، و أخذت دموعها تهطل مثل المطر في نوفمبر.

بعد دقائق طُرق باب بيتها، فقالت :

- سعد ؟

جهزت نفسها للقائه و كأنه شاهد شريطا مصورا لما فعلته البارحة، و ارتجف جسمها حين أصبحت الطرقات على الباب عنيفة و قالت بصوت حسبت أنه مرتفع :

- قادمة

فتحت الباب فانتصب أمامها رجال ملثمون يحملون أسلحة نارية، ظنت نفسها ترى كابوسا، و بسرعة لم تترك لها حيزا للتفكير غطسوا رأسها في كيس أسود و كبلوا يديها و هي تصرخ :

- ماذا يحدث ؟ من أنتم ؟
لكن لم يأتها أي جواب، كانت تسمع جلبة داخل بيتها : أثاث يقلب، أواني تكسر ... فأدركت أنهم يفتشون البيت.
بعد لحظات أخرجوها إلى الشارع، و اقتادوها إلى سيارة سوداء شعرت بتجمهر الناس حولها فصرخت :
- أنقذوني، النجدة
فهمس لها أحد أولئك الرجال :
- إن لم تصمتي سأفجر دماغك برصاصة.
فابتلعت لسانها فورا.
***
أدخلوها إلى غرفة ظنتها غرفة تحقيق، أزالوا الكيس عن رأسها ثم بدأت الأسئلة تهطل على دماغها كالحجارة :
- من أعطاكم الأمر بالعملية ؟
- منذ متى و أنتم تخططون للعملية ؟
- من أمركم بقتل أمينة الحزب ؟
- من أمركم بقتل الشاعر ؟
- كيف خططتم لتفجير الحانة ؟
تأملتهم بأعين حائرة توحي أنها لم تفهم شيئا مما يقولونه، و قالت بصوت كالهمس :
- عملية ؟ زعيمة حزب ؟ شاعر ؟ حانة ؟
ثم قالت بصوت يبدو أنهم سمعوه :
- لا أعرف عما تتحدثون ؟
وضعوا أمامها صورة بدت و كأنها مرسومة و سألها أحدهم :
- هل تعرفين هذا الرجل ؟
تفحصت الصورة بعينيها و قالت و هي تضع أصبعها عليها :

- إنه زوجي.
جاءها صوت كالرعد هز أركان قلبها :
- هل أخبرك زوجك عن العملية ؟
ظلت صامتة لا تملك قدرة على التفكير، فصرخ فيها من جديد :
- هل أعلمك زوجك بالعملية ؟
قالت و قد اغرورقت عيناها بالدموع :
- أي عملية يا سيدي ؟ أنا لا أعرف عما تتحدث !
سألها أحدهم :
- أين كنت البارحة ؟
قالت :
- كنت في البيت، انتظرت زوجي حتى الصباح و لكنه لم يأت و كنت قلقة عليه.
قال أحدهم :
- إذا لا تعرفين أين كان زوجك البارحة ؟
قالت بصوت كالبكاء :
- أقسم بالله يا سيدي أنني لا أعرف
تبادل المحققون النظرات بينهم و قال أحدهم و كان أطولهم قامة و أضخمهم جثة :
- إن زوجك متورط بعملية إرهابية و قد ضبطته كاميرا الحانة و هو يلج إليه و يضع حقيبة سوداء و غادر، كما أكد بعض الشهود أنهم رأوه و هو قرب المسرح البلدي بالجديدة و معه حقيبة سوداء .
تساءلت في ذهول :
- عملية إرهابية ؟
و أكمل المحقق :
- لقد قُتلت زعيمة حزب اليسار الديمقراطي نجيبة العسري، كما تم

تفجير حانة قرب المسرح البلدي و قُتل الشاعر أيمن الخزرجي.
ازدادت كوابيسها كابوسا، و ازدادت الأشباح التي تحاصرها شبحا و نظر إليهم نظرة المغشي عليه من الموت و قالت بصوت كالهمس :
- أيمن مات ؟
فسألها المحقق :
- هل تعرفينه ؟
رددته و كأنها لم تسمعه :
- أيمن مات ؟
اقترب منها المحقق و سألها من جديد :
- هل تعرفين أيمن الخزرجي ؟
لكنها لم تجبه و ظلت تحدق به كمن رأى شبحا و شعرت أن السكين الذي ذبح أيمن من الوريد إلى الوريد ينغرس في قلبها حتى المصل، و أخذت يداها و شفتاها ترتجفان، و لم تعد جزيئة أوكسجين واحدة قادرة على النفاذ إلى جسمها، فانهارت على طاولة التحقيق.

-3-

في بيت عائلتها بالبئر الجديد كان والداها يجلسان قلقين على ابنهما سفيان الذي لم يعد منذ ليلة البارحة، و فجأة طُرِق باب البيت، فأشرق وجه الأم و ركضت نحو الباب و فتحته قائلة :

- سفيان

لكنه لم تجده بل وجدت رجالا ملثمين سرعان ما غطسوا رأسها في كيس أسود فأخذت تصرخ جاء زوجها مسرعا فتجمد حين أبصر الرجال و قال بصوت متلعثم :

- ماذا هناك ؟ من أنتم ؟

غطسوا رأسه أيضا في كيس أسود و فتشوا البيت ثم قادوهم إلى سيارة كانت بالخارج.

في غرفة التحقيق سأل محقق الأب قائلا :

- أين أخوك ؟

تمتم الأب :

- لا أعرف

سأل المحقق ثانية :

- ماذا تعرف عن العملية ؟

تمتم الرجل :

- أي عملية ؟

نظر إلى الأم فأشارت برأسها أنها لا تعرف شيئا، فاقترب منها المحقق و قال :

- لديك ابن أليس كذلك ؟

تمتمت قائلة :

- نعم

سأل المحقق :

- أين هو؟

أجابت :

- لا أعلم، لم يعد منذ البارحة .

قال المحقق بصوت مرتفع موجها الخطاب إلى الأب:

- أخوك

ثم إليهما معا :

- و ابنكما و صهركما

و تابع :

- متورطون في عملية إرهابية

حدقا به بعينين جاحظتين، لم يكونا يعرفان شيئا عن الإرهاب سوى وجوه رجال ملتحين يقتلون و هم ي يصرخون : الله أكبر ، تابع المحقق :

- الشيخ أبو عبد الرحمان كان يتردد على صهركما و قد رآهما شهود عيان ليلة البارحة معا.

صمت قليلا ثم أضاف :

- و ليلة البارحة تم ضبط صهركما و هو يفجر حانة فقتل عشرينا شخصا

ضربت الأم فخذيها و صرخت :

- الله أكبر، الله أكبر

بينما تجمد الله في عروق الأب و برزت عيناه كأنهما ستسقطان أرضا، و قال المحقق :

- أنتما رهن الاعتقال حتى نقبض عليهم

الفصل الخامس عشر

-1-

" الإرهاب يضرب المغرب "

" عمل إرهابي جبان يذهب ضحيته الشاعر أيمن الخزرجي و الأمينة العامة لحزب اليسار الديمقراطي "

" الإرهاب يزهق عشرات الأرواح بالمغرب "

" شاعر يذهب ضحية للإرهاب "

هكذا عنونت معظم الصحف المغربية و العالمية في اليوم التالي للعملية الإرهابية التي راح ضحيتها أيمن و الأمينة العامة لحزب اليسار الديمقراطي التي ماتت بعد رميها برصاصتين في الصدر أمام باب بيتها، كما تم تفجير حانة قرب المسرح البلدي ما أسفر عن موت 20 شخصا و قد انقلبت البلاد رأسا على عقب، و صارت الفوضى تعم كل مكان، و المظاهرات في كل الشوارع، و لافتات :" لا للإرهاب" تلقاك في كل زاوية، و " هؤلاء لا يمثلون الإسلام " تسمعها في كل مكان يدور فيه حوار، و طالت حملة من الاعتقالات كل من يعفي لحيته و يحف شاربه و يرتدي القميص الأفغاني، و صارت البلاغات تتهاطل من وزارة الداخلية، و خرجت بعض المنظمات النسوية للشارع و هن عاريات تماما يكتبن على أجسامهن أبياتا من قصائد أيمن الخزرجي، و قد كانت زهراء برفقتهن .

تم تنظيم حفلات فنية تحت شعار : " الفن في مواجهة الإرهاب "، و تم استدعاء سعيدة و حين اعتلت الخشبة أخذت الميكروفون و صرخت في الآلاف الذين احتشدوا أمامها :

- قال أيمن مرة أن الصوت الحسن و الموسيقى الجميلة تزيد الشعر حسنا و جمالا، أما أنا فأقول : الشعر الجميل يزيد الحياة كلها جمالا، لقد رحل أيمن لكنه ترك لنا ثروة شعرية، ترك لنا قصائد فريدة مثله، جميلة مثله، مؤثرة مثله، لقد ضحى أيمن لأجلنا جميعا، دماؤه الزكية سفكت لأجل كل حر كافر بالأغلال و القيود، أيمن منارة و شهاب ساطع سيظل ينير طريق الحرية و الجمال، أيمن مثال للإيمان و الصبر و الطموح، أيمن أيها الطير الشادي و يا سرب من الحمامْ، لذكراك المجد و على روحك السلامْ.

صفق لها الحضور بحرارة ثم استهلت الحفل بأغنية : أحلمك في قلبي أينما ذهبت، و كان صوتها مخنوقا بالدموع.

و أطل رئيس الحكومة من التلفاز في أخبار التاسعة على القناة الأولى و هو يقول متوعدا :

- سنضرب بيد من حديد، أعدكم أن يدفع كل من تورط في هذا العمل الإرهابي الجبان الثمن غاليا.

فيما خرج بعض المفكرين و المثقفين ليتهموا الإسلام بأنه منبع للإرهاب و القتل فقال أحدهم :

- هذا ما جناه علينا دين قريش، لن نتخلص من الإرهاب إن لم نتخلص من آفة الإسلام

و قال آخر :

- هذه ثمار انتشار الوهابية و فكر ابن تيمية بالمغرب.

في حين ارتفعت أصوات معتدلة بالقول :

- علينا أن نتشبث بالإسلام المغربي المتميز بالصوفية و التسامح و الدعوة إلى السلام، كما علينا إعادة النظر في التربية الدينية التي يتلقاها أبناؤنا و على الدولة أن تشدد المراقبة على دور القرآن و كل التجمعات الدينية.

-2-

ووري جثمان أيمن الثرى بمقبرة البئر الجديد بطلب من والدته لأنها سمعته مرة يقول :

- صحيح أنني ولدت في ولاد سالم و لكني أشعر أنني أنتمي إلى البئر الجديد لقد غيرت هذه المدينة فيّ كل شيء منذ انتقلت إليها للدراسة بالسلك الإعدادي

كانت جنازته مهيبة و قد حضرها المئات ممن عرفوه بشكل شخصي و ممن عرفوه عن طريق كتاباته، بعد دفنه و تلاوة سورة يس على روحه، أسند والده كتفه إلى جدار المقبرة و بكى بحرقة، و هو يقول :

- سامحني يا أيمن، سامحني يا ولدي

***

في بيتهم بقرية ولاد سالم كانت والدة أيمن و أخته يستقبلان من جاء للعزاء، امتلأت القرية بالسيارات و حضرت شخصيات سياسية و ثقافية كما جاء بعض الصحافيين لإنجاز ربورتاج عن أيمن و طفولته.

كان والده يقف جامدا يمد يده فقط لمصافحة المعزّين، بينما كانت أمه تروي لصحافية شابة عن طفولة أيمن :

- كان شغوفا باللعب، كان يمسك دائما أحجارا في يده و يطلق عليهم أسماء و يقيم بينهم حوارات كأنهم أشخاص حقيقيون.

أضافت و هي تبتسم :

- ذات مرة سألته :" ما هذا ؟" فقال : " هذه مزرعتي، أنظري هذه خيول و هذه أبقار" ثم حمل حجرا جميلا و قال : " و هذه زوجتي "

ابتسمت الصحافية و أردفت الأم :

- لقد كان طفلا ذكيا

أومأت الصحافية برأسها و واصلت الأم و هي تركز نظرها على ركن الغرفة :

- كان يجلس هناك كل ليلة يراجع دروسه و يحفظ القرآن على ضوء الشموع

أخذت دموعها تهطل بغزارة و قالت :

- آه يا ولدي المسكين، كم عانيت و كم قاسيت و حين تحسنت أحوالك قتلك أعداء الله

ثم صمتت طويلا قبل أن ترفع بصرها إلى وجه الصحافية المبلل بالدموع و قالت :

- أنا لا أفهم الشعر الذي كان يقوله، لكنه كلما أسمعه أحس أنه يقول شيئا جميلا و عظيما، حتى أنني أستطيع أن أميّز شعره دون أن يخبرني أحد بذلك

نظرت إليها الصحافية في شفقة ثم قاطع حديثهما والد أيمن حينما دخل بوجهه الشاحب الحزين و قامته الطويلة التي أرغمته على الانحناء حين مر بباب الغرفة وقال بصوت عال :

- لقد حضر وزير الثقافة و يريد أن يقدم لك العزاء

-3-

مرت ثلاثة أيام على الحادثة و لم تستطع الشرطة و المخابرات التوصل لأي شيء بخصوص من قاموا بالعمل الإرهابي، باستثناء التعرف على وجه سعد.

كانت الفتاة التي ذبحت أيمن تجلس وحدها في غرفتها و قد أغلقت عليها الباب بعد أن أخبرت البقية بأنها تريد الصلاة، كانت برفقة خمس عشرة امرأة أخرى، و على بعد خمسين متر كان يمكث ثلاثة و عشرون رجلا يجتمعون في مكان سري لا يعرف غيرهم عنه شيئا، فتحت المخدة التي تنام عليها و أخرجت منها ديوان أيمن : أناشيد الحب و الفراق، هذه المرة الخامسة التي تعاود فيها قراءة الديوان، و تفتحه في كل مرة على الصفحة 15 و تقرأ قصيدة بعنوان : ما أجمل الله.

و هذا نصها :

ما أجمل الله ..

حين تراه في عناق أم لطفلها حتى ينامْ

و في أسراب الطير .. و هديل الحمامْ

و في قصائد الشعر .. و أغاني الغرامْ

و في زهر الربيع الندِيْ

ما أروع الله ..

حين تراه في مؤتمرات السلمِ

و مختبرات العلمِ

و في سيرة ولي صالح

و وصايا نبِيْ

ما أجمل الله ..

حين تراه في نزول قطرةٍ

و تفتح زهرةٍ

و في قبلة حبيبين .. و ابتسامة صبِيْ

ما أقبح الله ..

حين تراه في صورة كاهن غبِيْ

يفتي في الحيض و النفاسْ

و قطع رقاب الناسْ

و في الغزو و السبِيْ

ما أفظع الله ..

حين ترى أولياءه .. يقتلون الأبرياءَ

و يغتصبون النساءَ

من أجل اختلاف ديني أو مذهبِيْ

كانت تشعر في كل مرة تقرأ فيها القصيدة أن شيئا في داخلها يتكسر، يهتز، يتغير، و قول أيمن يتردد في رأسها :

- كيف عرفت أنني أهاجم دينك و عقائدك و أنت لم تقرئي لي ؟

بدأت تراودها الكوابيس أثناء نومها.

طُرق باب غرفتها فخبأت الكتاب داخل المخدة مرة أخرى، ثم بسطت السجادة على الأرض و انتظرت قليلا ثم فتحت الباب، فوجدت فتاة في الخامسة عشرة من عمرها، كانت قصيرة، سمراء الملامح، ألقت التحية قائلة :

- مرحبا كوثر

دعتها للدخول و قالت الفتاة القصيرة :

- هل يمكنني الوثوق بك ؟

ردت كوثر :

- نعم، بالتأكيد

قالت الفتاة القصيرة :

- أعطني موثقا من الله أن تكتمي سري

ردت عليها :

- أعاهدك أمام الله أن لا أفشي سرك يا سلمى، ماذا هناك ؟

صمتت سلمى قليلا ثم قالت :

- لقد قرأت بعض قصائد أيمن الخزرجي على صفحته بالفيسبوك

تفاجأت كوثر و قالت :

- حقا ؟ و كيف كان شعورك اتجاه قصائده ؟

ردت سلمى و هي تضغط بيدها على صدرها :

- يعتريني شعور غريب، أشعر .. أشعر أنني أريد أن أحب شخصا ما، أن أعانق شخصا ما، لا أدري كيف أصف لك هذا الشعور

ردت كوثر :

- احذري أن تخبري أحدا بهذا

وضعت يدها على فمها و قالت :

- لن أخبر أحدا طبعا

دار بينهما حوار قصير ثم قالت كوثر :

- أريد أن أواصل الصلاة إن سمحت لي

ردت سلمى :

- نعم طبعا، تقبل الله منك، و لا أحتاج أن أخبرك أن تحفظي سري

قالت كوثر :

- كوني مطمئنة و احذري أن تخبري أحدا سواي

غادرت سلمى و عادت كوثر لعزلتها و تفكيرها، لم يغادر طيف أيمن غرفتها، كانت تراه في كل زاوية من زوايا البيت و قالت و كأنها تخاطبه :

- كيف تستطيع التأثير في العقول و القلوب بكلماتك البسيطة ؟

مرت خمسة أيام بعد ذلك، كانت في كل يوم تقرأ الديوان ثلاث مرات أو أكثر، و تدهورت حالتها و صارت ترى كوابيس في نومها و تسمع صوت أيمن : " كيف عرفت أنني أهاجم دينك و عقائدك و أنت لم تقرئي لي ؟"، و تذكرت حوارها القصير معه حين قال لها و هو يمشي بجانبها مطأطئ الرأس :

- كيف لمجتمع يدعي الفضيلة أن تخشى فيه فتاة السير وحدها في الشارع ؟

لم تعد تستطيع النوم بعد، و سيطر عليها إحساس بالذنب و ظل سؤال يطن في رأسها كذبابة : " ماذا لو كنا على خطأ ؟"، و ذات ليلة رأت أيمن في المنام، كان يسقي زهرة ياسمين بيضاء فوقفت قربه و قال لها :

- هل أتيت لقتلي ؟

و بعد أن قال ذلك وجدت بيدها سكينا و سمعت صوتا يقول :" اقتليه قبل أن تكبر زهرة الياسمين أكثر"، فطعنته و سال دمه على الزهرة فنمت مباشرة حتى فاقتها طولا.

استيقظت مذعورة من الحلم فتوضأت و صلت ركعتين ثم بكت بحرقة.

طُرق باب غرفتها فمسحت دموعها و فتحت الباب فوجدت سلمى لديه، نظرت إليها في دهشة و قالت :

- هل كنت تبكين؟

فعانقتها و دخلت في نوبة بكاء كطفل خرج توا من رحم أمه، سألتها في شفقة :

- ما بك ؟

قصّت عليها القَصص فقالت سلمى:

- هل أنت من قتلته ؟

أخفضت رأسها دون أن تجيب و أخذت دموعها تهطل غزيرة على خديها فعانقتها سلمى لتواسيها، وقالت كوثر بصوت ممزوج بالدموع :

- أريد أن أريك شيئا

قالت :

- ما هو ؟

أشارت لها بسبابتها أن تنتظر ثم أخرجت الكتاب من المخدة، أمسكته سلمى بفم مفتوح و عينين جاحظتين و كأنها تمسك صحفا ألقيت عليها من السماء، و قالت في صوت كالهمس :

- كيف حصلت عليه ؟

أجابت قائلة :

- لقد كان يحمله معه ليلة العملية

و ازدحمت الدموع في عينيها و قالت :

- أشعر بالحسرة و الندم، تمنيت لو لم أبسط يدي إليه لأقتله

ثم أضافت :

- أتعلمين لقد طلب منا أن نسمح له بكتابة قصيدته الأخيرة و لم نفعل

نظرت إليها سلمى في حسرة و قلّبت أوراق الكتاب بين يديها ثم قالت في صوت كالهذيان :

- ماذا لو كنا على خطأ ؟

ردت كوثر و هي تمسح دمعها :

- كلما قرأت له شعرت أننا على خطأ

و فجأة طرق الباب فخبّأت الكتاب و أشارت لسلمى أن تفتحه.

مر أسبوعان و كوثر على تلك الحال و أكل الحزن من جسمها فصارت مثل ناي، و ذات ظهيرة بعد أن أدت صلاة الظهر وراء الشيخ أبو عبد الرحمان دعاها هذا الأخير بعد الصلاة و قال حين ظلت معه على انفراد :

- أنت امرأة شجاعة و فيك الكثير من صفات الصحابيات رضوان الله عليهن، و تريد الجماعة تكريمك على عملك الجهادي الكبير و ذبحك لعدو الله بيدك و قد اتفقنا بعد تشاور على إرسالك للخليفة في العراق ليتزوجك و قد عرضنا ذلك على الخليفة فوافق خصوصا بعد سماعه بعملك البطولي.

تسارعت أنفاسها و بلغ قلبها حنجرتها و تساءلت في استغراب :

- أتزوج من الخليفة ؟

قال الشيخ بوجه بشوش :

- نعم

جنحت للصمت قليلا ثم قالت :

- سمعا و طاعة، إنها لنعمة عظيمة من الله أن أتزوج من خليفة المسلمين.

أومأ الشيخ برأسه موافقا ثم أذن لها بالذهاب.

عادت إلى غرفتها متسارعة الأنفاس و أخذت تذرعها جيئة و ذهابا، ثم أخرجت كتاب أيمن و أمسكته بين يديها و بكت بحرقة.

في المساء دعت سلمى و قالت :

- سأذهب إلى الشرطة

ارتبكت سلمى و قالت :

- الشرطة ؟ هل جننت ؟

ردت عليها كوثر :

- لم أعد أستطيع النوم، ألم تخبريني أنت أيضا أنك تشكين أننا على خطأ ؟

ردت سلمى :

- نعم، و لكن ... سيقتلوننا

قالت :

- لم يعد يهمني.

ثم أردفت :

- أليس الموت أهون علينا مما نحن فيه ؟

قالت سلمى :

- لدي طفل

قالت كوثر :

- الطفل الذي أنجبته حين أجبروك على الزواج و أنت في الرابعة عشرة من عمرك من رجل عمره خمسون سنة ؟

أخفضت سلمى رأسها و قالت :

- سأذهب معك

ردت عليها :

- لا، بل يجب أن تبقي هنا، و تحرصي أن لا يلاحظ أحد غيابي

صمتت ثم أضافت :

- سأذهب هذه الليلة.

كانت الساعة تشير للتاسعة و الربع مساء حين وصلت لمخفر الشرطة بالبئر الجديد، كانت أنفاسها تتسارع فأحضر لها شرطي شاب كوب ماء، ثم اتصل برئيس قسم الشرطة مخبرا إياه أن هناك فتاة بالمخفر تقول أن لديها معلومات مهمة حول من نفذوا الهجوم الإرهابي بمدينة الجديدة.

حضر رئيس قسم الشرطة بسرعة و سألها دون مقدمات :

- ماذا تعرفين عن العملية ؟

ابتلعت ريقها ثم قالت :

- اسمي كوثر الناجي، و يلقبونني بأم سارة، عمري 26 سنة، أنتمي لجماعة دينية منذ 10 سنوات.

صمتت قليلا ثم أضافت :

- قبل سنة خططنا لعملية جهادية، كانت العملية في البدء موجهة ضد أمينة حزب اليسار الديمقراطي و حانة بمدينة الجديدة ثم أضيف بعد ذلك الشاعر أيمن الخزرجي للقائمة بعد أن ذاع صيته مؤخرا كشاعر يدعو للحداثة و الفسق و الفجور ...

قاطعها شرطي في غضب :

- عملية جهادية يا ابنة العاهرة ؟ هل الجهاد هو قتل الأبرياء ؟

طلب منه رئيس القسم الصمت ثم خاطبها قائلا :

- أين تجتمعون ؟

قالت :

- بعيدا عن البئر الجديد ب15 كيلومتر، نجتمع في بيت المغني عبد الله سعدان الذي اعتزل الغناء قبل سبع سنوات .

أنهت الشرطة الاستجواب و تم اعتقال كوثر، و تم إخبار وزير الداخلية و المخابرات بالأمر، و بعد ثلاثين دقيقة أحاطت الشرطة ببيت المغني عبد الله سعدان من كل جانب، و لم يستسلم الإرهابيون بل قاوم بكل ما أوتوا من قوة و قُتِل منهم 7 رجال و تم اعتقال كل من تبقى.

في الصباح كانت صورهم تملأ كل الجرائد، مع أسمائهم :

الصورة 1 : حمزة المالكي

الصورة 2 : رضا أرجون

الصورة 3 : سعد سيف الدين

الصورة 4 : محمد ظافر المعروف بالشيخ "أبو عبد الرحمان "

...

و كان من بين الذين قتلوا : سفيان ظافر، و أحمد صفوي.

أما كوثر و بعد أسبوع فقط على سجنها وُجدت منتحرة في زنزانتها.

-4-

كان مصطفى الضاوي وحيدا في بيته في مدينة فاس، يشاهد الأخبار و الدموع تبلل لحيته .

" لقد كنت السبب في موته، لقد قتلت أخي " كان يقول في نفسه ثم يبكي بحرقة.

مر عليه أسبوع و هو على تلك الحال و تدهورت حاله و اعتلّت صحته، حين سمع عن حملة الاعتقال التي تطال الملتحين قام بحلق لحيته ثم غادر مدينة فاس نحو الجديدة التي وجدها في حالة فوضى كأنها خرجت توا من حرب أهلية، اكترى بيتا بحي السلام و اعتزل فيه .

أعادت له سكناه في الجديدة الكثير من الذكريات من بينها سناء، التي ما زال حبها يسكن قلبه و عقله، و ذات مساء ركّب رقمها – الذي ما يزال يسكن عقله أيضا – بهاتفه و اتصل بها :

- السلام عليكم
- و عليكم السلام، كيف حالك ؟
- الحمد لله أخي، من معي ؟
- مصطفى

أعجزتها الصدمة عن الرد فتابع مصطفى :

- أعلم أن اتصالي فاجأك، لكني أحتاج إليك أنا في حالة سيئة جدا

ردت عليه :

- لماذا ؟ ما بك ؟

قال :

- هل يمكننا أن نلتقي ؟

****

كانت ما تزال جميلة مثلما كانت، ما يزال جسمها ممتلئا و أردافها تميل من الثقل، حين رآها مصطفى شهق و سقطت دمعة من عينه على الرغم منه.

تكررت لقاءاتهما بعد ذلك، و في الرابع عشر من فبراير من العام 2019 جاء إلى لقائهما و هو يحمل نسخة حريرية من ديوان أناشيد الحب و الفراق أصدرتها دار الحرية للنشر و التوزيـع تكريما لأيمن بمناسبة عيد الحب، أعطاها الكتاب كهدية ثم أخرج خاتما من جيبه و وضعه على الطاولة أمامها و قال مبستما :

- هل تقبلين الزواج بي ؟

الفصل السادس عشر

أحبك حرّةً ..

مثل كوكب يسبح في الفضاء البعيدِ

أحبك قويةً .. كالصخرِ .. كالحديدِ

أحبك ثائرةً ..

أحبك قادرةً على كسر القيودِ

فثوري .. لأحبك أكثر ..

ثوري على عصر الخيام والرمال

والبراقع السودِ

ثوري على حاملي عصيّ الطاعة

واكسريها على رأسهم البليدِ

ثوري على الباحثين عن شرفهم المفقودِ

بين السيقان والنهودِ

ثوري .. فقد انتهى عصر الخنوع

والخضوعِ .. والسجودِ

انتهى عصر الإماء والعبيدِ

-1-

دخل والد زينب البيت و ألقى التحية على أمها التي كانت بالمطبخ تحضر وجبة العشاء و سألها :

- هل أكلت زينب شيئا ؟

هزّت رأسها نافيةً و قالت :

- لا، لم تأكل أي شيء.

جلس الأب على كرسي كان عند باب المطبخ و قال :

- ما مر بها لم يكن سهلا، لقد دمر حياة ابنتنا

ردت الأم :

- لن أسامح أخاك إلى يوم القيامة

رد الأب :

- و لا أنا، لقد جعل من ابننا قاتلا و تسبب في موته و دمّر حياة ابنتنا بعد أن زوجها من رجل لا تريده.

ثم أردف و قد سقطت دمعة على خده :

- و كل هذا كان بمباركتنا

دخلت الأم في نوبة بكاء و قالت :

- أخشى أن تموت ابنتنا أيضا

نهض الأب و اقترب منها و قال و هو يربت على كتفها :

- لا تقولي ذلك، ابنتنا قوية و ستتجاوز كل هذا.

ثم غادر المطبخ قائلا :

- سأتحدث إليها قليلا.

طرق باب غرفتها فلم تجب و طرق ثانية و لم يأته جواب، فطرق ثالثة و هو ينادي عليها :

- زينب، أرجوك يا ابنتي، أريد التحدث إليك قليلا.
وقف طويلا عند الباب ثم همّ بالرحيل غير أنها فتحت له، كانت عيناها حمراوين و وجهها مصفرا و جسمها صار كقلم رصاص، فتحت الباب ثم عادت للغرفة و جلست على طرف السرير و تبعها أبوها، تأمل الغرفة كانت مبعثرة و قصاصات الجرائد في كل مكان، ظهر له وجه أخيه على إحدى القصاصات فدهسه بقدمه ثم جلس بجانب زينب و قال :
- أعلم أن ما مررت به صعب و لكن الحياة تستمر، عليك أن تكوني قوية.
نظرت إليه بعينين دامعتين و قالت :
- و هل أبقيت لي أنت و عمي أي حياة ؟ لقد خسرت كل شيء يا أبي كل شيء، خسرت أخي الوحيد و خسرت ...
لم تكمل جملتها فقال أبوها :
- لقد علمت أنك كنت تحبين ذلك الشاعر
هطلت دموعها غزيرة ثم قامت إلى دولاب الملابس و عادت بورقة في يدها و قالت و هي تلوح بها :
- هل تعرف ما هذه يا أبي؟ إنها شهادة الإجازة في الكيمياء، إنها ثمرة 15 عاما من الدراسة، لقد حرمتني أنت و عمي من تذوق هذه الثمرة و زوجتموني من رجل جعل مني خادمة في بيته.
شعرت بالدوار فأمسكت برأسها فقال لها :
- لا تجهدي نفسك أرجوك، و عليك أن تأكلي لقد خارت قواك

نظرت إليه بعينين ملؤهما الغضب و قالت و هي تشيح بوجهها عنه :
- اخرج من غرفتي أرجوك
أومأ برأسه ثم غادر، بينما جلست هي على طرف السرير مرة أخرى و أمسكت شهادة الإجازة بيدين مرتعشتين و ظلت تنظر إليها باكية حتى بللتها بالدموع .

-2-

لم تغادر غرفتها منذ شهر و لا تأكل إلا ما يبقيها على قيد الحياة دون أن تتذوق طعمه، إذا اطلعت عليها حسبتها هيكلا عظميا، كانت تفكر طول الوقت بأخيها و بأيمن.
و ذات صباح من صباحات أكتوبر الممطرة ارتدت معطفا أسود و غادرت البيت، لم يجرؤ والداها على سؤالها أين تذهب، خرجت إلى الشارع و سارت تحت المطر من غير مظلة حتى تبللت ملابسها الداخلية، لم تبرح حتى بلغت باب المقبرة فدخلت إليها و أخذت تتجول بين القبور حتى تجلى لها قبر مزخرف كتب عليه : مثوى الشاعر أيمن الخزرجي توفي يوم 18 غشت 2018.
وقفت أمام القبر باكية و في عروقها قافلة حزن تسير، كانت تحمل في يدها صورة و هي عبارة عن سكرين شوت لرسالتها التي بعثتها له وجدت قرب جثته و سلمتها الشرطة إياها، ظلت تحدق بالقبر صامتة فظهر لها طيف رجل يرتدي جلبابا أحمر داكن اللون، فأشارت إليه و عندما حضر قالت له :

- هل تقرأ على القبور ؟

قال :

- نعم يا ابنتي

فقالت و هي تتأمل وجهه المجعد :

- هل يمكنك أن تقرأ لي على هذا القبر ؟

قال :

- إن شاء الله

أعطته عشرين درهما و قالت :

- اقِرأ عليه سورة الإنسان لقد كان يحبها.

أخذ الرجل النقود ثم تلا بالطريقة المغربية المميزة :

" هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا "

هطلت دموعها بغزارة بينما واصل المقرئ :

" و إذا رأيت ثمّ رأيت نعيما و ملكا كبيرا "

انصرف الرجل بعدما أنهى القراءة و جلست زينب عند القبر و قالت :

- هذه أول مرة أكون قريبة منك منذ افترقنا

مسحت دموعها و أضافت :

- أتيت اليوم لأطلب غفرانك، لقد آذيتك كثيرا و جرحت قلبك و حطمت روحك.

ثم أردفت و دموعها على خدها :

- لكن اعلم أنني أيضا تأذيت و عانيت و خسرت الكثير، لقد أحببتك بكل جوارحي، و لم أحب أحدا سواك في حياتي و لم أشعر أنني أنثى إلا معك و لم أشعر بشهوة اتجاه أحد سواك، حين أحببتك أصبحت أهتم بشكلي و ملابسي و اكتشفت جسدي و أنوثتي، إنني مدينة لك بالكثير يا أيمن، شكرا لأنك دخلت حياتي.

شكرا لأنك أحببتني، شكرا لأنك قبّلتني، شكرا لأنك عانقتني، لقد قلتَ لي مرة أنك حين تراني تتذكر أنك شاعر، وأقول لك الآن أنني حين أحببتك تذكرت أنني أنثى.

-3-

بعد أسبوعين من زيارتها لقبر أيمن سافرت إلى مدينة الجديدة و اشترت ديوان : أناشيد الحب و الفراق، شعرت و كأنها تحضن ابنها الذي أنجبته من أيمن، أفلم يكتب معظم قصائد هذا الديوان عنها ؟، ألم تكن ملهمته ؟ لذلك فمن حقها أن تشعر أن روحه تزوجت روحها فأنجبت قصائد.

انكبت على قراءته أسبوعا كاملا، كانت تبكي و هي تنشد أبياته كما يبكي مؤمن تقي و هو يتلو آيات القرآن فجرا.

يا لسحر كلماته !

يا لروعة قوافيه !

هل كل هذا الكلام قاله فيها ؟ في وصف جسمها ؟ في وصف عينيها ؟ هل أحبها لدرجة أنه كان يراها روحا عظيمة و إلهة من آلهة الرومان القديمة ؟ هل كان يراها حقا قديسة عفيفة و نبية شريفة ؟

كلما قرأت أكثر ظهر لها كم كانت عظيمة في عينيه و ازداد احتقارها لنفسها لأنها تخلت عن شخص أحبها بصدق، و تساءلت :

- كم من قصة حب عظيمة دُفِنت في مقبرة العادات و التقاليد ؟

***

في أوائل شهر نوفمبر قرأت إعلانا عن مباراة التعليم فسألت نفسها لم لا تتقدم لاجتيازها؟، ربما يكون في العمل خلاصها من العذاب الذي تعيشه.

أخذ تحضيرها للمباراة كل وقتها و تفكيرها و بدأ مزاجها يتحسن و استبشر والداها خيرا، كانت كلما تسرب اليأس إلى نفسها ذكرت قول أيمن : " قاتلي مثل نبية شريفة "، فتتجدد عزيمتها و تفاؤلها بنفسها.

حين اجتازت الامتحان الكتابي في السلك الابتدائي و نجحت، ذهبت إلى الشفوي حاملة في يدها ديوان أناشيد الحب و الفراق و في قلبها حب أيمن و ثقتها بنفسها و في عقلها كلما تحتاجه من معلومات، دخلت قاعة الامتحان و وضعت الديوان على الطاولة ثم شرعت في الإجابة عن الأسئلة، كان وجود ديوان أيمن معها كوجود أيمن نفسه، لذلك بدت شخصيتها قوية و واثقة من نفسها، حتى أن المفتش المشرف على لجنة الامتحان قال لها :

- امرأة تقرأ لأيمن الخزرجي، لا بد أن تكون ذات كاريزما و شخصية قوية.

تم الإعلان عن النتائج و كان اسمها بين الناجحين، فرقصت احتفالا و هنأها والداها، ثم التحقت بالمركز الجهوي لتكوين الأساتذة بمدينة الجديدة.

حصولها على عمل أعطاها نوعا من الاستقلالية و غيّر الكثير في شخصيتها، في يومها الأول بالمركز أفاقت صباحا و تناولت وجبة الفطور ثم غيرت ملابسها و هي أمام المرآة، و قبل أن تضع غطاء على رأسها، مشطت شعرها ثم أخذت تتأمل شكلها بشعرها الطويل المنسدل على كتفيها و فستانها الأحمر الجميل، تساءلت في نفسها : " لماذا لا أذهب

هكذا ؟"، أخذت حقيبتها ثم وقفت أمام باب البيت فتسارعت أنفاسها و همّت بالتراجع قبل أن تأخذ نفسا عميقا ثم فتحت الباب و خرجت، وقفت لبضع ثوان ثم عادت للداخل بسرعة و أغلقت الباب و ركضت نحو دولاب الملابس فغطت رأسها، و وقفت أمام المرآة ثانية، كانت بعض خصلات شعرها بارزة عند مقدمة رأسها فتركتها و أخذت نفسا من جديد و خرجت، كانت تلك المرة الأولى التي تبرز فيها خصلات من شعرها أمام الغرباء منذ حيضها الأول.

في تلك الفترة تعرفت في الفيسبوك على عيسى و هو شاب في الخامسة و العشرين من عمره حاصل على الإجازة في الرياضيات و يعمل بإحدى الشركات بمدينة طنجة، دارت بينهما حوارات كثيرة، كان يذكرها بأيمن و لم تتفاجأ حين أخبرها أنه من المعجبين بقصائده، و قد حكت له قصتها مع أيمن و قالت بفخر :

- لقد كنت ملهمته

في إحدى حواراتها معه سألته :

- ما رأيك في الحجاب ؟ هل هو فعلا رمز للرجعية و التخلف كما يزعم البعض أم أنه رمز للعفة و الأخلاق ؟

رد قائلا :

- في رأيي الحجاب ليس رمزا لا للعفة و الأخلاق و لا للرجعية و التخلف كما أن التبرج ليس دليلا على التحضر أو على الفسق

ثم تابع :

- إذا فرضوا عليك الحجاب ثم ثرت عليهم و نزعته فهذا تحرر، و إذا فرضوا عليك التبرج ثم ثرت عليهم و ارتديت الحجاب فهذا تحرر

و أضاف :

- التحرر ليس هو نزع الملابس أو ارتداؤها، و إنما التحرر هو نزع القيود و الأغلال

أعجبها جوابه فقالت له :

- إنك تلميذ نجيب لأيمن.

ضحك ثم قال :

- هل كان هذا رأيه أيضا ؟

قالت :

- لم أسمعه يقول ذلك و لكن ما ميّزه أنه كان يميل دائما للاعتدال في كل شيء و يمقت التطرف، قال مرة : " اليقين خطير، إنه السبب المباشر في التطرف، على الإنسان أن يشك دائما : هل العقائد التي يدافع عنها و يقاتل لأجلها صحيحة أم لا "

***

في الرابع عشر من فبراير من العام 2019 كان لقاءهما الأول بمدينة الدار البيضاء، كان عيسى شابا طويلا، وسيم الملامح، عميق العينين، لم تستطع أن تمنع قلبها من النبض بقوة حين تنظر إليه، أما هي فكانت تلتقي بشاب للمرة الأولى في حياتها و هي لا ترتدي حجابا، كان شعرها حريريا ذهبي اللون يبسط يديه على كتفيها سعيدا بحريته، سألها عيسى :

- ألم يعارض أهلك نزعك للحجاب ؟

قالت :

- لم يعارضوا بشكل معلن ربما فعلوا سرا، لكن منذ ما حدث في الصيف الماضي لم يعد أحد منهما يتدخل بما أفعله، حتى أن أمي قالت مرة : " وددت لو كان ابني سفيان سكيرا عربيدا و ظل بجانبي "، فشعرت و كأنها تقول لي : " لا يهمني كل ما تفعلينه، المهم أن لا تكوني قاتلة "

ثم تابعت :

- إني لا ألوم أهلي، إنهم أناس طيبون لكنهم أيضا ضحايا لأمراض هذا المجتمع.

حين ودعت عيسى عانقته و قبّلت خده، و قد وجدت في نفسها شهوة اتجاهه و ودت لو تقبّل شفتيه و لكنها لم تفعل.

***

في شهر يوليوز من العام 2019 دعاها عيسى إلى قضاء الصيف معه في مدينة طنجة، فقالت له بعد تردد :

- سآتي، لكن بشرط

قال :

- ما هو ؟

قالت :

- أن لا تتركني أنام وحدي

ضحك ثم قال :

- سريري يتسع لشخصين

قالت :

- يهمني أن يتسع حضنك لي

قال :

- حضني أوسع من البحر الأبيض المتوسط إذا نمت فيه

ثم أردف ضاحكا :

- لقد جعلتِ مني شاعرا

ردت قائلة :

- كان أيمن يقول : " كلنا شعراء"، لكن كل منا يُخْرج الشاعر الذي يسكنه بطريقته

رد قائلا :

- أتفق معه، الشعر ليس كلاما موزونا فقط.

قالت :

- نعم، بل الشعر فلسفة حياة.

***

و بعد طول انتظار وقف أمامها القطار المتوجه إلى طنجة، فظهرت صورتها على واجهته، كان شعرها قصيرا يمد يديه ليلامس كتفها و لا يستطيع، كما كانت ترتدي تنورة قصيرة كشفت عن ساقيها الفضيتين، للحظة لم تعرف نفسها فابتسمت، كانت تشعر أنها غريبة عن نفسها لكنها أحست للمرة الأولى في حياتها أنها حرة من كل الأغلال و القيود التي كانت عليها.

ركبت القطار، كانت ملامح حياتها الجديدة قد بدأت تتجلى أمام عينيها، شغلت موسيقى جيتار إسباني في هاتفها ثم وضعت السماعات و

أخرجت من حقيبتها كتابا و انهمكت في قراءته دون أن تكترث للفتاة التي كانت بجانبها و التي ظلت تحدق في عنوان الكتاب : " مذكراتي في سجن النساء لنوال السعداوي "

(انتهت)